كراسات مستقبلية

سلسلة غير دورية تصدرها المكتبة الأكاديمية تعنى بتقديم الاجتهادات الفكرية والعلمية ذات التوجة المستقبلى.

رئيس التحرير أ.د. أحمد شوقى مدير التحرير أ. أحمد أمين

المراسلات: المكتبة الأكاديمية

١٢١ ش التحرير الدقى ـ القاهرة ـ ت: ٣٤٨٥٢٨٢ ـ فاكس: ٣٤٩١٨٩٠

الدور الحيوى لـ

أدب الخيال العلمى

فى ثقافتنا العلمية

obeikandl.com

obeikandl.com

الدور الحيوى لـ

أدب الخيال العلمى

فى ثقافتنا العلمية

نهاد شريف

الناشر
المكتبة الأكاديمية
١٩٩٧

obeikandl.com

obeikandl.com

حقوق النشر

الطبعة الأولى: حقوق التأليف والطبع والنشر© ١٩٩٧ جميع الحقوق محفوظة للناشر:

المكتبة الأكاديمية

١٢١ ش التحرير ـ الدقى ـ القاهرة

تليفون : ٣٤٨٥٢٨٢/ ٣٤٩١٨٩٠

فاكس : ٣٤٩١٨٩٠ ـ ٢٠٢

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من الناشر.

هذه السلسلة

تزايدت فى السنوات الأخيرة، عمليات إصدار كراسات تعالج فى مقال تفصيلى طويل (Monagraph) موضوعاً فكرياً أو علمياً هاماً. وتتميز هذه الكراسات بالقدرة على متابعة طوفان الإتجاهات والمعارف الجديدة، فى عصر يكاد أن يحظى باتفاق الجميع على تسميته بعصر المعلومات.

تعتمد هذه الميزة على صغر حجم الكراسات نسبياً بالمقارنة بالكتب، وتركيز المعالجة وتماسك المنهج والإطار. ولأهمية الدراسات المستقبلية فى هذه الفترة التى تشهد تشكيلاً متسارعاً لملامح عالم جديد، سعدت بموافقة المكتبة الأكاديمية وحماسة مديرها العزيز الأستاذ/ أحمد أمين لإصدار «كراسات مستقبلية» كسلسلة غير دورية مع تشريفى برئاسة تحريرها.

والملامح العامة لهذه السلسلة، التى تفتح أبوابها لكل المفكرين والباحثين العرب، تتلخص فى النقاط التالية:

انطلاق المعالجة من توجه مستقبلى واضح (Future-orieted) أى أن يكون المستقبل هو الإطار المرجعى للمعالجة، حيث يستحيل إستعادة الماضى، ويعانى الحاضر من التقادم المتسارع بمعدل لم تشهده البشرية من قبل.

الإلتزام بمنهج علمى واضح يتجاوز كافة أشكال الجمود الإيديولوجى، مع رجاء ألا تتعارض صرامة المنهج مع تيسير المادة وجاذبية العرض.

الإبتكارية Creativity المطلوبة فى الفكر والفعل معاً، فى زمان صارت النصيحة الذهبية التى تقدم فيه للأفراد والمؤسسات: تجدد أو تبدد Innovate or evaporate!!

الإلمام العام بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية، التى تعد قوة الدفع الرئيسية فى تشكيل العالم، مع استيعاب تفاعلها مع الجديد فى العلوم الإجتماعية والإنسانية، من منطلق الإيمان بوحدة المعرفة.

مقارنة الموضوعات المختلفة سواء أكانت علمية أو فكرية مؤلفة أو مترجمة، من منظور التنمية الشاملة والموصولة أو المستدامة Comprehensive and Sustainable Development ، التى تتعامل مع الإنسان كجزء من منظومة الكوكب، بل والكون كله.

كراسات هذه السلسلة تستهدف تقديم رؤيتنا لمستقبل العالم من منطلق الإدراك الواعى لأهمية التنوع الثقافى، التى لاتقل عن أهمية التنوع البيولوجى الذى تختفى به أدبيات التنمية الموصولة. إننا نقدم رؤيتنا كمصريين وعرب ومسلمين وجنوبيين للبشرية كلها دون ذوبان أو عزلة، فكلاهما مدمر ومستحيل.

هذه الكراسة

يقدم صاحبها الأستاذ / نهاد شريف نموذجا يحتذى، أسس «الريادة بلا ضجيج». فلا يذكر أدب الخيال العلمى فى المنطقة العربية؛ إلا ويذكر نهاد شريف، الذى يبهر كل من يعرفه بالعطاء الغذير، الممزوج بقدر هائل من الدماثة والهدوء.

obeikandl.com

استشعر كاتبنا الدور الكبير الذى لعبه ويلعبه أدب الخيال العلمى فى تربية أبناء العالم المتقدم، وجذبهم إلى التطلع إلى آفاق الثورة العلمية والتفكر الواعى فى تطبيقاتها، وهو يقدم فى هذه الكراسة ذات البعد المستقبلى الكبير خلاصة فكره وتجاربه... وريادته.

أ.د. أحمد شوقى

الزقازيق - يناير ١٩٩٧

obeikandl.com

المحتـــويـــات

الصفحة

ملخص	٩
مقدمة	١١
أولاً: مدخل إلى دور العلوم وأهمية استيعابها	١٣
الشدائد والمعاناة أسرع طرق التقدم	١٣
واستقام هرم المنجزات وأخذ يرتفع	١٤
إلى متى الجهل بخطى العلم والمؤثر من قفزاته؟	١٥
من يحمل المسئولية، ولماذا؟	١٦
ولماذا الخيال العلمى بالذات؟	١٧
الأدب الجديد يحقق وجوده ويؤكد مكانته	١٨
إهمال العلوم وعدم فهمها كارثة وطنية	١٩
ثانياً: بروز الأدب الجديد وتدفق مساراته	٢٠
(وغرقت....) وغرقت الشعوب القديمة فى أساطيرها	٢١
ألف ليلة وليلة	٢١
أول الرواد	٢٢
البداية الحقيقية	٢٣
الانتشار السريع	٢٣
ثالثاً: مفهوم الخيال العلمى وتقسيماته	٢٤
كيف عُرِفَ الاسم وتم تثبيته	٢٤
تعاريف شتى	٢٥
المفهوم المتفق عليه عربياً	٢٦
تقسيمات الخيال العلمى	٢٧
أهم أهداف قصص الخيال العلمى	٢٨
وأهداف حيوية وأخرى طريفة	٢٩

obeikandl.com

بلا خيال لا إبداع ولاشئ بالمرة ٣٠
رابعاً: رسالة الخيال العلمى ودوره الحضارى ٣١
قدرات ومجالات رحبة بلا حدود ٣١
لهذا أسموه أدب المستقبل ٣٢
كيف يسهم هذا الأدب فى نشر الثقافة العلمية ٣٣
وأنه واجب وطنى مقدس ٣٥
خاتمة ٣٥
هوامش ٤٣
ملاحظات ٤٥

obeikandl.com

ملخص

يشهد عالم اليوم أنواعاً متعددة من الأفكار متباينة من العقائد والأيديولوجيات قد تتلاقى مرة وتتضاد وتتصارع مرات. فلكل شعب فى كل دولة تطلعاته وأهدافه وأطماعه بعضها يتضح على السطح وأغلبها يتوارى ساكناً فى أعماق الضمائر والنفوس والقرارات السرية. كما أن أفراداً فى كل مكان ـ أولهم العلماء والمتخصصون ـ تعمل فرق منهم لخير الإنسان، وتعبث للأسف فرق أخرى بينهم بمقدرات العلم؛ لتحيله شراً يضر الإنسان وفواجع قد تبيد حضارته وتفنى ذريته، وتنهى الحياة برمتها من على سطح الكوكب.

ومع بداية القرن العشرين تعلن الأرقام والمؤشرات تزايد أعداد العلماء العابثين وتفاقم جموحهم ليتعرض الكوكب بالتالى للتهديد تلو التهديد، ويجابه كل يوم عشرت الاعتداءات والمخاطر. فى عمق تربته وعمق مياهه وسمائه، بل وقد طال التهديد حتى الفضاء الخارجى المحيط على أبعاد نائية فلم يعد أحد يدرى من أين تأتيه الضربت الغادرة مستقبلاً.

على أن الصورة البانورامية لعالم اليوم لاتخلو كذلك من الخير، وهى ليست دائمة القتامة، ويستحيل ألا تحمل غير الوعيد والرعب. فجنباً إلى جنب عوامل الحمق والأنانية والإصرار على التعدى، نجد أضعافاً مضاعفة من ثريات الأمان المضيئة المبشرة. والتى يمدنا بها أولاً بأول علماء أسوياء وخبراء مستنيرين يساندهم ويحثهم زعماء وساسة محبين للسلام حقاً. فإذا بأفكارهم وجهودهم الواعدة تضئ الأرجاء مبشرة بغلبة ضيائها على أنحاء الكوكب؛ ليتألق بدوره وسط المجرة، وفى حضن أقزام وعمالقة أجرام الكون من أدناه لأقصاه.

هكذا هو واقعنا الأرضى.. وهو ذات ماتتناوله وتستعرض جوانبه وتروح تخوض وتتفحص وتخترق وتقلّب فى كل جزئية عبره، عقول ومخيلات كتّاب أدب الخيال العلمى، وإلى أن يحولوا أحلامهم بدءاً من واقع العلم ومنجزاته إلى عطاء درامى، ينبض بالحياة رغم استقراره على الورق. وبذا يكشفون فى جدية عن حدى سلاح العلم وتفوق التقنيات المفيد منها والضار للإنسان. فإذا كان أدب خ. ع هو الفاحص والمعبر عن تقدم العلم وتطور تقنياته، والناطق فى ذات الوقت بحلم البشرية فى حياة أفضل وحضارة أكثر رفاهية وازهاراً. واليقظ على الدوام حيال سلبيات العلماء وجنوح البعض منهم تجاه المحظور. ومن ثم المعبر الصادق عن تحقيق الأحساسيس والرغبات والآمال الكامنة فى أعماق البشرية منذ الأزل. فإن هذا الأدب يستحق عن جدارة اللقب، الذى أطلق عليه مؤخراً «أدب المستقبل».

وأدب خ. ع. له مفاهيم ثرية سجلها كتّابه وخبرائه لعل أبرزها عربياً هو الذى يحدد أنه «الأدب الذى يتناول التقدم العلمى ومنجزات التقنية وتطورها الصالح منها والضار من خلال أحداث درامية». ولهذا الأدب الجديد أهدافه وتقسيماته، وأما عماده الرئيسى

فهو علوم عصره، والتعبير عن طريق خيال فعّال يقدم صور الأشياء الآتى أغلبها فى الزمن القادم.

ومن ثم فهذا الأدب ـ قبل غيره ـ يمتلك مفاتيح بالغة القيمة، تتيح لمبدعيه الدخول مباشرة إلى صميم العصر والعبور حثيثاً بقرائه ومتذوقيه إلى المستقبل. وأما مفاتيحنا القيّمة هذه فتفتح بوابات دنيا الثقافة العلمية بكافة أساليبها وأهدافها وبالمدهش المفيد من طرقها ومقوماتها وعناصر جاذبيتها.

وفى النهاية نستعرض أسماء وعطاء فرسان أدب خ. ع. فى مصر، والتى تنبهت قبل غيرها من دول المنطقة إلى أهمية هذا الأدب فكتبته منذ ٤٧ عاماً. لتنطلق مسيرته وتتوطد عربياً بعد ذلك وتصل أسماع وقلوب قراء خ. ع. بأنحاء كوكبنا.

obeikandl.com

مقدمة

تتفرد كراستنا هذه بكشف النقاب عن واقع عشناه ـ فى النصف الأول من القرن الحالى الذى يوشك على الرحيل ـ ولم نتنبه إلى كم الارتجال والعشوائية وسوء المعالجة فى تصرفاتنا حياله. الأمر الذى طالما أدى إلى مزيد من التراجع والتخلف عن جهود وحماس كثير من الدول المتنافسة وشعوبها المصرة على كسب رهان التقدم، والتفوق فى مضمار حضارة العصر، والاستماتة من أجل الوصول إلى نهاية السباق لاجتياز حاجزه المنيع إلى عام ٢٠٠٠، ألا وهو غياب دور الثقافة العلمية عن الساحة العربية.

كما توضح الكراسة مكانة مصر الرائدة فى المنطقة وحتمية إعطائها النموذج والقدوة للدول المحيطة عربية وغير عربية. فى اعمال الفكر الجاد والصبر على اتحاذ الخطى البناءة، من أجل إرساء طرق وقواعد الوصول إلى ما ينهض شعبها وشعوب المنطقة علمياً وحضارياً.

والعقول المصرية تعد أبرز وأهم الثروات القومية المعتد بها داخلياً والمشعة المحركة لسواها خارجها. ففى مضمار استيعاب علوم العصر ومنجزاته التقنية رغماً عن تراجع الدور العربى العلمى.. نجد أن ما سجلته أقلام قلة من الكتّاب المصريين قد نبه المنطقة إلى قيمة أدب جديد يكتبونه. ودور هذا الأدب وحيويته فى توجيه أفراد الشعب ـ خاصة الشاب ـ نحو التعلق بالعلوم وبحث وفهم نظرياتها. والأخذ بالثقافة العلمية فى أحب صورها ومعطياتها، تلك التى تطوّع الأفكار والكشوفات العلمية وتتغلغل إى جذورها وتفرعاتها وتستعرض وتشرح تقنياتها. من خلال نوعيات متعددة لها منها الدرامية التى تتفنن فى إبداعها.

وإذا كانت الريادة فى كتابة أدب خ. ع. تسجل لفرنسا وإنجلترا على يد المبدع جول فيرن ومعاصره الإنجليزى هيربرت جورج ويلز، منذ ١٥٠ عاماً. كما ترجع البداية الأمريكية لكتابة خ. ع. إلى ١٢٠ عاماً سابقة كذلك. وبعدها البداية السوفييتية ودول نطاقها الاشتراكى منذ ١٠٠ عاماً فقط. فإن البداية المصرية قد انطلقت وقبل غيرها من دول المنطقة، منذ قرابة نصف قرن.

ووسط ما كان يسود العالم من موجات تحديث، وتطلع إلى مزيد من الوسائط المعرفية وسبل الخبرة، والتمكن لمسايرة التقدم الحاصل فى مضمار العلوم على أراضى الدول المتقدمة. تعرّض ما كان يكتب من خ. ع. ـ فى أول القرن ـ لموجة نقد غلبت عليها الحيرة والاحباط: فإلى أى مدى تصدق رؤى هذا الأدب وتتحقق نبؤاته؟ وهل ترقى كتاباته فى قيمتها وأهميتها إلى مستوى الأدب المتداول، أم هو نوع طارئ وثانوى ولا يقرأ إلا للتسلية؟

وعلى ذلك فهذه الكراسة تقوم بشرح دور أدب خ. ع. وتأكيد خطواته المبكرة فى ظل ما قوبل به من استخفاف وانصراف عن أهدافه وجدواه. حتى اندلع أتون الحرب

العالمية الثانية ليتضح فى أعقابها رجاحة أفكار وصدق بصيرة كتّاب خ. ع، ومدى جدية رؤاهم التنبؤية والتحذيرية، خاصة من أهوال التدمير، وتلاحق سقوط الضحايا الذى فاق كل حد، مما عانت منه الدول المتحاربة. وسرعان ما أيقن قراء هذا الأدب أنهم بإزاء نوعية متميزة من العطاء عالية القيمة منضبطة الأداء، سخية فى رؤاها وتصوراتها، إضافة إلى ما تحققه لقارئها من متعة وجاذبية، وهكذا ذاع أدب خ. ع. فى دول الغرب وشملت إبداعاته كافة مصادر الإعلام من إذاعة وسينما ومسرح وتليفزيون إلى جانب الصحف والمطبوعات.

على أن الدور المصرى وإن بدأ متأخراً عن مثيله الغربى، وكتّابه لدينا هنا من المتخصصين يُعَدّون ـ فى الستينات ـ على أصابع اليد الواحدة. إلا أن الدولة وقد تنبهت مؤخراً إلى أهمية نشر الثقافة العلمية بين جماهير شعب مصر والوطن العربى، رأت فى تشكيل المجلس الأعلى للثقافة لأول «لجنة للثقافة العلمية» فى تاريخه وتاريخ البلاد، فرصة حقيقية لمزيد من الدفع والتركيز على نشر الفكر العلمى، وشرح أبعاده ومفاهيمه وطرق الاستفادة منه، والاستعانة به مع الأخذ بتطوراته وابتكاراته. فى حين ضمت نشاطات اللجنة مزيداً من الاستعانة بأدب خ. ع. بل، واتضح التفات من نوع آخر لتنمية هذا الأدب فى إجراء مسابقات تشجع على كتابته للنشء فى الوقت، الذى تزداد فيه الأقلام الشابة الواعدة بالعطاء من خلاله. كما حدث تنبه يسير من الشاشة الصغيرة لانتاج موضوعات عربية من خ. ع. إلى جانب عرض الحديث من أفلامه الأجنبية.

ومع ذلك ورغماً عن الجهود المبذولة والمنتظرة لاتدعى دراستنا بأى حال أن معطيات أدب خ. ع. تقدم حلولاً علمية سحرية. كما لا يتصور أحد أن الثقافة العلمية ذلك المحيط المترامى الزاخر عمادها أدب النوع وحده. فمهما بذل كتّاب ومفكرو خ. ع. من جهود، ومهما قدموا من إجابات ذهنية وتوصلوا لتصرفات ذكية محسوبة. إنما يعد ذلك بأجمعه مجرد خصلة فى ضفيرة ذهبية مجدولة بإحكام، من الأفكار والخدمات وسبل التوجيه والحث، التى يبذلها فريق متناغم من العلماء الأجلاء. هدفهم الأوحد تثقيف أفراد الأسرة العربية على مختلف أعمارها، وتباين جنسياتها وتطلعاتها.

إن العلم بالتأكيد لا يعرف الحدود بين الدول والأولى أن يكون هذا حال أمة العرب والعلم قابل للتطور والتعديل والتحوّل والتفوق، بغرض الوصول إلى آفاق لم تكن معروفة قبلاً، وتقديم تقنيات ملائمة وطيعة. تكون الأكثر قدرة وفعالية والأميز فى عطائها للإنسان والنهوض بعوامل تحضره.

أولاً: مدخل إلى دور العلوم وأهمية استيعابها:

منذ وُجد الإنسان على سطح الأرض وانطلق يدب حثيثاً بين ربوعها وملاذه الأول قدح زناد فكره والاستعانة بخياله وبصيرته. لدى كل عثرة ومعضلة تعترضه، وحيال كل ظاهرة وموقف وخطر يتربص به ويحتاج المعالجة والحل. ابتغاء بقاء أفراده واستقرار جماعاته، وبلورة رقيه وتحضره، وإلى أن يبسط سلطانه على ما حوله.

منذ لجأ الإنسان مع أول عهوده القديمة إلى عقله. إلى فطنته ودقة ملاحظاته، فأطلق موج خلاياه المخية تضيء بآلاف التساؤلات، وتشتعل بملايين الرؤى والتصورات والمشاهد الخيالية. وخطى أقدامه تسرع يوماً بعد يوم فى مسيرة التمييز والفهم والتقدم والتطور، ومن ثم التفوّق على ما حوله فى كل شئ.

الشدائد والمعاناة أسرع طرق التقدم:

صحيح قد جابهت ذلك الإنسان شدائد وأهوالاً لا حصر لها، وصحيح قد تساقط منه ضحايا بأعداد مهولة. بل وكاد هو ذاته أن يفنى جنسه بنفسه ويمحو حضارته بيده، أكثر من مرة عبر تاريخه الممتد منذ أول ظهوره على سطح كوكبه. غير أن ذريته بقيت، فحيثما تتردد الأنفاس فى صدره قوى عقله وتحمل وتحفز جسده، وداوم بذراعيه ورجليه وأسنانه على كسب خطى الفلاح والرقى. وثبّت أقداماً لا حصر لها فى اتجاه سيطرته على عالمه. حدث هذا وهو يستخدم وبمقدرة فذة ـ خلال رحلة بقائه ثم تحضره ـ مايسمى بومض العلم وتفجر لمساته وتجلّياته وإبداع تقنياته فى كافة المجالات.

وبامتداد الأنحاء المترامية لأرضنا ازدهرت علوم السلف والخلف، وتجمعت وتراكمت وإلى اليوم. والحق أن العلم استطاع خلال الأربعة قرون الأخيرة أن يفعل كثيراً لإبراز قيم جديدة، الأمر الذى لم يستطع الفن أو الدين أن يفعل مثله طوال ألفى عام. وأنه لمن سوء الحظ أن الأنماط العقلية التى ظهرت أثناء القرن الماضى شوهت طبيعة العلم لأنها عارضت بينه وبين الدين. ولكن «العلم» هو الفعالية العقلية البشرية الأساسية، وهو يتألف من إيمان معين بمفهوم النظام. وأول من لاحظ أن الفصول تتعاقب بفترات سنوية، واستخدم هذه المعرفة ليصبح فلاحاً ناجحاً كان صاحب رؤية وتفكير علمى. وبدلاً من أن يعدّل نفسه ليتفق مع ضغط الأحداث حاول أن يسبقها. وكذلك فإن أول من اعتبروا البرق والرعد من الآلهة كانوا من العلماء أيضاً، فقد حاولوا أن يقيموا نظرية على ملاحظاتهم تلك، حتى ولم لم تكن النظرية صحيحة.

إن روح العلم ليست مجردّ تمسك بقوى العقل وتأكيد عليها، وإنما هى كذلك يقين بأن مشاكلنا قد تكون أبسط مما يبدو. والعالم الحقيقى هو مقامر يؤمن بالربح فى النهاية مهما طال الأمد. إنه يواجه الارتباك والتعثر ويتسلح بلمامة من المعرفة، ومن ثم

ينطلق مفترضاً أن المحاولة تجديه. وعلم الآثار يعطينا أمثلة جيدة فإن حل الرمز الهيروغليفى أمره متيسر نسبياً. إلا أن تقدير معنى الحروف الهيروغليفية من شكلها كان دائماً خادعاً ومجهداً وبذا اعتمد الحل على إيجاد كتابة هيروغليفية طويلة نوعاً وبجانبها كتابة بلغة أخرى معروفة. وكما يعرف الجميع فقد أعطت صخرة روزيتا (حجر رشيد) المكتوبة بالمصرية واليونانية القديمة أساس الحل. بينما استطاع شمبليون وحده بتقديره الملهم أن يتبين أن الحروف الهيروغليفية المحاطة بدوائر، كانت تعنى أسماء الملوك التى يسرت الحل النهائى. ومن الأمثلة الأخرى على الروح العلمية حل رولنسن للكتابة المسمارية. وللعقل معجزاته أيضاً، فقد اتضح ذلك مرة أخرى حين ثبتت صحة توقعات آينشتاين حول أشعة الضوء والجاذبية من كسوف الشمس عام ١٩١٧[1].

وهكذا تقدمت العلوم تقدماً مذهلاً لم يكن أحد يتوقعه، حتى العقود الأولى من هذا القرن. ففى أعقاب النهضة الصناعية (من منتصف ق ١٨ إلى منتصف ق ١٩ م) لاحت فى الأفق معالم التفوّق العلمى، والذى تحركت خطاه بطيئة فى المبدأ ثم تسارعت بعدئذ مع اندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥). فبالدفع والالحاح تحت وطأتها تتابعت الاكتشافات والاختراعات العلمية؛ خاصة فى مجالات القوى العسكرية المتحاربة أو المتربصة تراقب على البعد؛ حيث تحققت منجزات ضخمة؛ كان أبرزها نجاح الإنجليز فى استخدام الرادار، والألمان فى إطلاق الصواريخ، وإلى أن تمكنت الولايات المتحدة من تفجير أول قنبلة نووية.

واستقام هرم المنجزات وأخذ يرتفع:

وجملة القول أن الحصيلة النهائية لتقدم العلوم تجمعت مع بداية القرن العشرين فيما يشبه هرماً ضخماً ثابت الأركان، راح يطاوح السماء من المنجزات المؤثرة فى كل جانب من جوانب حياتنا. ولعل واحدة من أعظم قصص النجاح كانت إسهام العلوم فى التنمية الزراعية؛ وخاصة فى مجالات استصلاح مزيد من الأرض الجرداء وتحويلها إلى مزارع تموج بالخضار. كما قدمت العلوم ثورات شتى فى عديد من شئون الحياة البشرية، تبرز منها الثورة الكاملة فى الدواء وفى أفرع الطب وأغلب مجالاته. إلى جانب ربط عالمنا بشبكة مواصلات واتصالات، فاقت كل تصور. حدث هذا بينما تستقر الأنظار المتعطشة على جلال الفضاء الشاسع المحيط بكوكبنا تلهفاً على غزوه. والذى سنتلمس أعتابه بعد ربع قرن من نهاية الحرب العالمية الثانية.

لقد أكدت هذه المنجزات العلمية وما صحبها من تقنيات مدهشة سيطرة الإنسان على بيئته ودعمت بقائه وزادت فى رفاهيته واسترخائه. ومن ثم أصبحت العلوم

وتطبيقاتها فى طورها الحديث المتقدم من اساسيات المجتمعات المعاصرة وسمة بارزة للعيش فى ظلها. الأمر الذى يتطلب بالضرورة تعرف أشكالها وصورها والإلمام، ولو بالأطر العامة لها، وكيفية أدائها وجملة منافعها ومضارها وسبل تطويعها وتطويرها. وحتى يتيسر للفرد العادى فهمها واستيعاب جوانبها وبالتالى التعايش معها، بتحديد وتنظيم العلاقات والقيم الإنسانية والسلوكيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المنبثقة عنها فى العصر الذى نحياه. لاسيما وقد أضحت العلوم الطبيعية القاعدة، التى يرتكز عليها تطور القدرات الإنتاجية فى المقام الأول[٢].

إلى متى الجهل بخطى العلم والمؤثر من قفزاته ؟

وبينما تعى الدول النامية ومنها مصر مبلغ احتياجها للعلوم والتقنيات المتقدمة فى بناء سبل نهضتها الحديثة. فإن تفسير هذه العلوم والتقنيات ذاتها وشرح فعالياتها لجمهور المواطنين يواجه مشاق متعددة، على رأسها التجاهل وعدم التحمس. مما يصعب استيعابها ويقلل من الإقبال عليها والأخذ بها. ولايتبق إلا استيرادها جاهزة مكتملة حسب تصاميم ومواصفات وطرق الغير. بل ويتم استخدامها بشروط مجحفة تفرض من قبل الدول المصدرة. ويبقى الطرف المستخدم لها على أرض المبيعة له مجرد منفذ وبيس مبتكراً ولا مصمماً، بعد أن عجز عن التعامل مع العلوم منذ البداية. وباقتضاب لاتنمو العلوم ولا تزدهر التقنيات وتضرب هذه أو تلك بجذورها فى البلدان النامية، والسواد الأعظم من مواطنيها لايفهمون وبالتالى لا يستوعبون ماهية العلوم، وربما يستخفون بسطوة التقنيات. عن جهل عميق بالدور الحيوى الذى تؤديانه فى المجتمع، ومن ثم النهوض بالشعوب.

أما أسباب الجهل والسلبية لو قلنا فى بلدان المنطقة ـ ولا تعفى مصر من ذلك ـ ووصول السواد الأعظم من أفرادها إلى درجة الإحجام فالانصراف الكلى، وفى أحيان بلوغ حد التوجس والخوف من كل تقدم علمى وتطور تقنى. فإن مرجعها جميعاً أعوام ثقال من التخلّف والفقر والأمية والوقوع تحت سيطرة المستعمر، وفى قبضة اعتناق الخرافات والمعتقدات البالية.

لكن ثمة تساؤلاً مبهماً يبرز وسط دوامة النقد المرير، الذى تتعرض له أحوال بلدان العالم الثالث. فهل حقاً رغماً من معاناة الجهل والسلبية العلمية المسيطرة بأرجائها، لم تتحرك عقول ولم تتفاعل قرائح، ولم تجر فحوص واختبارات وتجارب، وبالتالى لم تتم كشوفات علمية هامة؟ وإلا فأين هو ما سجل من أبحاث ودراسات ووقائع عنها؟

وهنا نفاجأ أيضاً بوجود تعتيم يحكم به النشر العلمى السائد على غالبية البحوث

الواردة من العالم الثالث؛ مما يخفق الجهود التى تبذل فى الدول الفقيرة ويثبط ويوقف نوعاً من البحوث فى مناطق هى فى أشد الحاجة إليها. وقد يحرم ذلك العالم الصناعى ذاته من المعرفة الحاسمة بأفكار ونظريات، غابت عليه ويجد فيها فائدة له قبل غيره(٣).

وإذ يحتاج العلماء إلى دعم ومؤازرة المواطنين فإن هؤلاء الأخيرين يحتاجون بدورهم معرفة ماهية العلوم ووظائفها وقيمة وأهمية البحث فى مجالاتها. وحتى يحصلوا ولو على الفهم الأدنى لطبيعة الممارسة العلمية، وليتبينوا دور العلماء والباحثين ومدى الفائدة التى تعود عليهم وعلى بلدهم، من جراء طرق كل مجال علمى على حدة.

يضاف إلى ما تقدّم ضرورة إزالة الحواجز والأستار عن عمل العلماء ومنجزات العلم، بعد أن اكتسب العلم كثيراً من خواص المهن الانطوائية. وذلك نتيجة انزلاق العلماء والمتخصصين فى متاهات متعمقة وبحوث وتجارب معقدة، اقتضت منهم ابتكار أساليب ولغات غير مألوفة عما اكتشفوه من أشياء وعلاقات وسبل لم تعرف قبلاً. وأيضاً لما تلجأ إليه دول وجهات من السرية وطرق التستر والإخفاء الملتوية فى مجالات أبحاثها. فى الوقت الذى يظن فيه العامة الصعوبة والتعقيد بأمور العلم وخفاياه؛ مما يزيدهم بعداً عنه وتجنباً لمحاولة فهمه.

فى حين المطلوب من الجميع تشجيع الفكر العلمى القومى، والعمل على إيضاحه ونشره. وكذا الوقوف باعتداد وصلابة أمام محاولات طمسه وتجاهله أو الإقلال من شأنه عندما يلجأ الغير لفعله. فهو الدليل على الحيوية الكامنة وقرب التفاعل عالمياً.

من يحمل المسئولية، ولماذا؟

وفيما يختص بمصر فإن مسئولية كبيرة تقع على عاتق جهات ثلاث قبل غيرها، وتتوزع بينهم بالقدر الأكبر فالأقل امتلاكاً لزمام الوعى العلمى، وهذه الجهات هى على التوالى:

١ ـ رجال العلم والبحث العلمى أو العلماء، ثم رجال الإدارة الحكومية ممثلين فى وزارات: التعليم ـ الثقافة ـ الإعلام ـ الشباب ـ والبحث العلمى، ثم خبراء الهيئة العامة للاستعلامات والجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء.

٢ ـ تأتى بعد ذلك جهات أقل جهداً لكنها ليست أقل فاعلية. فإن كل مؤسسة فى مصر وأغلب المؤسسات ببقية الوطن العربى بها الآن مراكز للمعلومات، عليها أن تطور هذه المراكز؛ لتكون قواعد بيانات متكاملة عن نفسها وعن أنشطة القطاع الخاص بها.

٣ ـ وأخيراً فإن كل من يعد على دراية ووعى ـ من أفراد الشعب العادى ـ

بمجال أو أكثر من مجالات العلم وتقنياته، ويمكنه إفادة سواه أن يتقدم للإسهام بقدرته هذه من أجل بلده.

أجل إن علينا كعرب اليوم ـ شأننا فى ذلك شأن كافة سكان هذا الكوكب المائل فى دورانه حول الشمس ـ أن نمعن الفكر مرتين، مرة فيما يخصنا من شئون، والأخرى فيما يعم العالم من متغيرات بعد أن طال بنا الانغلاق على تفاصيل همومنا بمعزل عن اهتمامات وتفاعلات الآخرين. وكى نجد السكن المناسب تحت مظلة التحضر والرقى الحادث بقدرة العلم وتفوق التقنيات.

فإذا بدت مسئولية العلماء فى البلاد المتقدمة نوعاً من تنوير الرأى العام وتوعيته بأخطار وسلبيات التطبيق العلمى. فإن مسئولية علماء الدول النامية أكبر وأعمق وأكثر أهمية؛ حيث تنصب على تغيير المجتمع. ودفعه من صفوف التخلف الخلفية إلى صفوف التقدم الأمامية فى صبر وأناة وإدراك سليم. أما دور الإدارة الحكومية فلابد أن يكون الأكثر قدرة على الحركة والتفاعل والإقناع، بحكم امتلاك هذه الإدارة لمصادر الإنفاق ومنافذ الإعلام. كما تضم فى أجهزتها الكم الأكبر من الرجال المتخصصين، ثم إنها الأسبق لفهم متطلبات البلاد وجماهيرها من وجهة نظر حضارية. ولعل أبرز مايتحتم وضعه فى اعتبار قادة الإدارة الحكومية عند التصدى لموضوع مصيرى كهذا خصوصاً فى مجتمع نام كمجتمعنا هو «معرفة حجم التحدى الذى يمثله عدم التفاهم بين عالم العلم والتقنيات وأذهان الناسعامة». ثم العمل على مجابهته ومكافحته بمنتهى الجدية والالتزام والإصرار لتضييق الهوة بنشر الثقافة العلمية الصحيحة، ويبقى كذلك دور الفرد المتنور صاحب الفهم والدراية والوعى بمجال أو أكثر من مجالات العلم والتقنيات. وكيف يفيد غيره بالموالاة والتوجيه وحث الآخرين على مزيد من اليقظة العلمية والتنبه إلى منجزات العلوم، وفهم كيفية عملها وتفاعلاتها، مع مراعاة إمداد نفسه أولاً بأول بكل ما هو جديد ومستحدث فى مضمارها؛ حتى يقدر على إفادة نفسه وسواه.

ولماذا الخيال العلمى بالذات؟

وواحد من أهم سبل نشر ثقافة العلوم وتقنياتها ومدى تأثيرها الآتى واللاحق... إلخ ـ وسط تسارع الملايين من منجزاتها وتوالى تطور تقنياتها فى العصر الذى نعيشه ـ هو ضرورة اللجوء إلى «أدب الخيال العلمى» والذى يعتبر أيضاً نتاجاً أميناً لهذا العصر فيحلو للبعض أن يطلق عليه «أدب المستقبل». وذلك لوجود أرض مشتركة بين ما يصل إليه رجل العلم من نتائج، وما يبدعه الأديب والفنان والمفكر من صور درامية وفلسفية.

فبينما يتوصل رجل العلم إلى نتائجه وهو ينظر إلى الواقع المنفصل عن ذاته، نجد الأديب يعيش حياته بحقائقها الثابتة و أوهامها المتفجرة فيعيد طرحها مرة أخرى فى إبداعه الذاتى الذى لا ينفصل عن وجدانه ومشاعره(٤).

وفى العصور المبكرة لحياة الإنسان على كوكب الأرض صنع عديداً من أدواته البدائية. وقد حاول كثيراً وأخطأ كثيراً لكنه عن طريق خياله كان دائماً يصحح مسيرته إلى الأحسن. وهكذا مع بداية القرن الحالى اتضحت الرؤية وصولاً من حكايات الجنيات إلى أقاصيص الخيال البحت. والتى انتهت إلى ما سمى فيما بعد بأدب خ. ع. فى القصة والرواية والمسرحية وغيرها من الفنون. وقد تم ذيوع هذا النوع من الأدب القائم على العلم ومنجزاته فى أوروبا جنباً إلى جنب ما أحرزته حياة الأوروبيين فى القرن ١٩ الماضى من تقدم مذهل فى ميادين العلوم الطبيعية والرياضية والنفسية وغيرها. ومع انتشار المخترعات الحديثة بين الناس، وربط أنحاء كوكبنا بتلك الشبكة المهولة من المواصلات السلكية واللاسلكية. وإلى أن أخذت الصحف والمجلات تنشر القصص والمسلسلات الروائية ذات الخ. ع. وتقدمها مادة شيقة تستهوى القارئ وتثير تساؤله ومن ثم انتباهه وتفكيره!

وفى هذا الإطار نفهم المكانة الرائدة التى تبوأتها قصص جول فيرن وهيربرت جورج ويلز وماري تشيللى والدوس هكسلىّ وادجار الآن بو وادجار رايس بوروز وبيير بنوا وغيرهم. بل نفهم لماذا تدفق بعدها ـ تقريباً مع بداية عام ١٩٣٠ ـ سيل قصص خ. ع. التى كتبها أدباء أو علماء موهوبين، ونسجوها من مزيج فريد هو: عطاء (التجربة العلمية) مع عطاء (الخيال الذاهب إلى أوسع آفاق الحلم والتصور والتوقع المستقبلى).

الأدب الجديد يحقق وجوده ويؤكد مكانته:

ونخرج بحقيقة واضحة ومدعمة أن آلاف بل ملايين القراء يحرصون ـ ولا أقول يدمنون ـ على قراءة قصص خ. ع. ويتأثرون بها. وحقيقة أخرى أن هناك أكثر من جامعة كبرى فى البلاد المتقدمة علمياً ـ وبعدئذ فى عدد محدود من دول العالم الثالث وعلى رأسها مصر ـ أصبحت تعترف بأن دراسة هذا النوع من القص جزء لايتجزأ من دراسة أدب القصة عموماً.

بل إن أكثر الحقائق وضوحاً تعلن أن كبار العلماء لا يمكنهم أن يديروا ظهورهم لخيال كتّاب خ. ع. ورؤاهم المذهلة. ويحضرنى هنا ما ذكرته وكالات الأنباء أوائل التسعينات من أن البرنامج الضخم الذى أعدته الأجهزة والمؤسسات والقيادات العلمية والعسكرية فى الولايات المتحدة الأمريكية «لرسم الصورة المتوقعة لما يسمى بحرب

النجوم، وكيف يمكن تلافى أخطار هذه الحرب والسيطرة عليها... إلخ». إنما يشرف على البرنامج إلى جانب مجموعة العلماء والفنيين ثلاثة من أبرز كتّاب خ. ع. للاستفادة من شطحاتهم الفكرية والخيالية البالغة التفرد والـ خاء

إلا أننا إذا ما تناولنا أدبنا العربى الحديث فإننا نشهد رواجاً لأنواع شتى من القصة، بوليسية ونفسية وتاريخية واجتماعية وإلى الحربية وحتى الرمزية مما يجيده كتّابنا ويتعالى صيته عالمياً. دون أن نرى اهتماماً من أولئك الكتّاب ـ فيما عدا الندرة ـ بهذا النوع الحديث من الأدب. بينما يُعرِض عنه الناشرون العرب وتتهرب منه وسائل الإعلام خاصة المرئية حكومية وأهلية!

همال العلوم وعدم فهمها كارثة وطنية:

فإذا عرفنا أن من بين العوامل القوية التى أدت إلى تدهور الحضارة العربية من بعد ازدهار وذيوع، كان ابتعاد العرب عامة من الإيجابيات العلمية إلى الحياة المترفة وما تحتويه من مباهج، فى ظل السيطرة الطويلة للخلافة العثمانية على البلاد الإسلامية. وإلى أن أصيبت أمة العرب بآفة الاحتلال الأجنبى ثم آفة ظهور الكيان الإسرائيلى. إذا عرفنا ذلك نلحظ بل نتأكد أن التخلف والتأخر لدينا وأيضاً ما نراه من تفوق تقنى مجلوب إلى إسرائيل إنما مرجعه: «الابتعاد عن العلم والروح العلمى». و «النأى عن مداومة الاطلاع والبحث فى العلوم وإثارة المناقشات حولها» وكذا «توقف التطور والتقدم التقنى فى أغلب متطلبات العلم وتفرعاته» والأخطر «التحول تدريجياً للاعتماد على الغرب» لنصبح فى الأغلب مجرد متلقين ومستخدمين لما يبتكره هؤلاء.

فإذا جادت قرائحنا وسط خضم الكمون المخيم علينا فإنما لنضيف ونعدل أو نحور فى بعض المحدود مما اقتنيناه من تقنيات مجلوبة، ومعظم هذه التفاعلات تجرى فى مضمار قواتنا المسلحة. فى حين مآل عديد من ابتكارات الشباب ومخترعاتهم ـ على ما تحوى من أفكار وجهود قيّمة ـ أن تُذيَّل بكلمة «يحفظ»!!

إن التركيز على نقل التقنيات قد يؤدى إلى مكاسب على المدى القصير، إلا أنه يشكل خطورة على المدى البعيد. فالنمو الاقتصادى الذى تحقق فى عدد من دول شرقى آسيا قد وصل إلى ما عرف بحدود العائد المتناقص. فأسرعت هذه الدول إلى اتخاذ إجراءات فعالة للحد من النقل والاعتماد على غيرها، فى مقابل التركيز على تنمية قدراتها العلمية والتقنية الذاتية وزيادة استثماراتها الخارجية.

وكل الدلائل تعلن اليوم ـ فى صراحة لاتغيب عن الفاحص المدقق ـ أنه إذا كان تاريخ التطور التقنى هو عين تاريخ تطور البشرية. فإن تقنيات القرن العشرين وما سيليها

من تقدم فى الألف عام الثالث المقبل تنذر بتهديد الدول النامية. حيث إنها تتركز فى الدول المتقدمة مما يؤدى إلى تهميش دول العالم الثالث وتقليص حجم إنتاجها. فالمعرفة الإنسانية يتوالى تضاعفها كل عشرة إلى خمسة أعوام بكيفية مذهلة. والثورة التقنية المقبلة ستعتمد إضافة إلى العقل البشرى على الإلكترونيات الدقيقة والهندسة الوراثية والحاسبات والذكاء الصناعى... إلخ. وذلك عبر ما تنفقه الدول من مليارات النقد على برامج البحث والتطوير والابتكار(٥).

ويدفعنا التزامنا القومى إلى التعامل مع الأمر بجدية وإصرار لأن زحف المستقبل لن يتوقف أو يتباطأ من أجل الغافلين. وحقيقة الواقع فإن أمة العرب قد وهن بروزها العلمى وتراجع سبقها الحضارى الآن. لاسيما ونحن نعانى من قلة المؤسسات البحثية العربية والمراكز الإحصائية بعموم وامتداد أمة العرب. بينما نتجاهل بحوث وابتكارات وجهود طاقاتنا العلمية وقت يستفيد منها الأجنبى. كما أننا نعانى من ضعف التنسيق القومى فى مجالات تقنية المعلومات وإيجاد روافد فكرية مشتركة. فى حين يأمن البعض منا للأجنبى فى استثمار أمواله بكافة مسميات مشاريعه العلمية والتقنية، ولو عاد بعضها علينا بالضرر كما فى جوانب من العلوم الزراعية.

يدور هذا كله فى الوقت الذى «يشغلنا فيه كفاح حياتى لاينتهى، وبطالة تلحق كم لايستهان به من طاقاتنا الشابة، ومشاكل داخلية وصراعات فكرية تستحوز علينا مهما تفهت» عن عديد من التطلعات العالمية والقضايا الأكثر حيوية وأهمية ومصيرية.

واليوم.... وبعد مجموعة الانتفاضات الكبرى التى شملت الساحة العربية. مبشرة بصحوة تعيد لنا المجد والصرح الذى كان وقفاً علينا نحن العرب إبان العصر العباسى وما تلاه بينما ظلام التخلف يخيم على أرجاء الدنيا القديمة (١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ ـ ١٢٥٨ م). فلا أقل من لفته يسيرة ـ لكنها أكيدة المفعول ـ تجاه دواء فاتح للشهية العلمية إسمه الخيال العلمى. وواحدة من أولى مميزاته تحريك الخيال، وإطلاقه لدى قارئه، تماماً كما سبق وأطلق لدى مبدعه، وقبلاً عندما امتلأت به رؤوس عديد من العلماء مكتشفى ومبتكرى الأفكار والنظريات العلمية، والتى صيغت بعدئذ فى أشكال درامية.

ثانياً: بروز الأدب الجديد وتدفق مساراته:

ومن الاسم الذى يطلق على نوعية الأدب الجديد.. الخيال العلمى.. لابد وأن نعرف أن الأصل فى كتابته يرجع إلى الخيال، والذى يقودنا بدوره إلى صيغ الإفضاء والحكى وهمسات الرواة أو صيحاتهم. أى أن الجذور الأولى لأدب خ. ع. ـ أو لو قلنا

أنماطه المبكرة ـ إنما كانت نوعاً من الأساطير. على أن هذه الأساطير لم تكن مجرد خيالات وأوهام قصصية. وإنما عدت محاولات جادة من المجتمعات الإنسانية القديمة. تفسر بها وتقيس عليها: ظواهر الحياة، والطبيعة، والكون، الأمر الذى يهدئ الكثير من مخاوف أصحابها عبر وحشة ما يحيطهم من أسرار. أى أن الأسطورة كانت نمطاً من التفكير العلمى لدى الإنسان القديم أدت إليه عوامل: الرهبة من المجهول إلى جانب النزعة الملحة إلى المعرفة.

وغرقت الشعوب القديمة فى أساطيرها:

وكل الشعوب لديها رصيدها الهائل من أساطيرها القديمة (قدماء المصريين، الأغريق، الرومان، الآشوريين والبابليين، البوذيين، المايا والأزتك والانكا وغيرهم). ونحن العرب لدينا أساطير الجاهلية، وأساطير صدر الاسلام ثم العصور الإسلامية التالية. ويتيح لنا ذلك كله فهم تأثير الروح العلمى على التخيل البشرى. فالخيال البدائى يستفز بالعنف والخوف والحيرة إزاء المجهول، وتتناول الأساطير الأولى المعارك والمؤامرات والصراع المستمر ضد الطبيعة، لتمثل أعمالاً تخيلية مثل «جلجامش» و«الف ليلة وليلة» مدى غرابة عالمنا، وكم الخطورة والمغامرة بين ربوعه، ومن ثم فلا أمل فى السعادة لغير الأبطال. ولاتكون الأمور فوق الطبيعية، كالأشباح والجن والسحرة ـ أو الأدوات التنبؤية المعجزة، كالجياد والأبسطة الطائرة أو بلّورات الرؤية وكيماويات التنجيم ـ بجانب الإنسان، وإنما تكون عادة رموزاً للخطر الصاعق المبهم فى مواجهته.

وبتطور العلم والإنسانية تغير ذلك كله، إذ نجد عند افلاطون نوعاً جديداً من التخيل يعتمد على إيمانه بالحقيقة والمعرفة. وأما موقف سقراط من الكون فهو إيجابى تماماً رغم أنه ليس بالموقف المادى. فى حين يعتقد فلاسفة ومفكرون آخرون أن المدن الفاضلة لم تقهر الشر الرئيسى فيها فمازال موجوداً بصورة أو بأخرى كما فى «المدينة الفاضلة» للفارابى و«مدينة الشمس» لكامبانيللا و«يوتوبيا» توماس مور، رغماً عن كونها مدناً فاضلة[٦]. بل إنه موجود حتى فى «حى بن يقظان» لابن طفيل و«رحلات جلفر» لسويفت بطريقة سلبية.

وتتميز الأساطير بخيالها الجامح أو ما يسمى «بالفانتازيا». وتتمثل فى حلم الإنسان بتجاوز الحواجز الزمانية والمكانية (دون أن يقوم هذا الحلم على أية أسس علمية ـ رياضية ـ أو تجريبية). كما تتمثل فى مخاوفه من تدخل قوى غيبية فى حياته (كالسحر والأماكن المرصودة والجن ـ وكافة ما وراء الطبيعة من أشياء ومسميات).

ألف ليلة وليلة:

إن أدب الخيال العلمى ـ منذ بداياته الأولى ـ وحتى يومنا الحالى ـ إنما هو تعبير

عن أحلام البشرية ومخاوفها (من المهجول) وبعدئذ (من التقدم العلمى فى شتى صوره). وفى كتاب ألف ليلة وليلة عديد من الأمثلة لهذه الأحلام والمخاوف. فى حكايات الجن ـ والعفاريت ـ والحصان الطائر ـ والبساط السحرى ـ وبلّورة الرؤيا ـ وطاقية الإخفاء ـ ومصباح علاء الدين. وما يشتمل عليه ذلك كله من خوارق وتحدى للمألوف فى الطبيعة. وأيضاً كوصف للكثير من التراكيب شبه الكيميائية، لمحاليل تجلب الحب ـ أو تولد الكره ـ وأخرى تؤدى إلى الموت الظاهرى ـ وثالثة تقلب الإنسان حيواناً ـ وهكذا.

وفى قصة «عبد الله البرى وعبد الله البحرى» وهى من قصص ألف ليلة وليلة الشهيرة نجد وصفاً أخاذاً لمملكة البحار. وما يزخر به قاع البحر من مخلوقات، ومن خيرات وعجائب فيها اقتراب لابأس به من حقائق علمية عرفناها مؤخراً، لما كان مجهولاً آنذاك عن قاع البحر وعن أعماقه ومستوياته الحافلة بالأسرار.

وبعد مرحلة الجذور أو البدايات الأولى.. نأتى إلى مرحلة المحاولات المبكرة لكتابة ما يشبه قصص الخيال العلمى. فنجد كثيرين قد سجلوا محاولاتهم المبكرة. من أبرزهم:

أول الرواد:

* **«لوسيان السورى»** وهو رجل عاش فى روما ـ فى ق ٢ م ـ محامياً وخطيباً متجولاً. وقد ألف باليونانية القديمة كتاباً أسماه **(قصة حقيقية)** ويعتبر أول محاولة قصصية معروفة للسفر إلى القمر.

* **«أبو نصر محمد، الملقب بالفارابى.** وهو فيلسوف عربى كتب ـ فى ق ١١ ـ م مؤلفه العظيم **(آراء أهل المدينة الفاضلة)**، وهو فلسفة رفيعة صور بها دولة مثلى تحقق السعادة والرفاهية لشعبها وتمحو الشرور بينهم. والمؤلف يقوم أساساً على علم ومنطق سليمين.

* **«أبو بكر محمد بن طفيل»** الفيلسوف والطبيب والفلكى والأديب والشاعر العربى والمفكر الموسوعى مثله مثل ليوناردو دافنشى. وألف ـ فى ق ١٢ م ـ فى مراكش الأندلسية كتابه **(رسالة حى بن يقظان)** وهى قصة فلسفية لحياة غلام أرضعته ظبية وعاش وحيداً فى جزيرة نائية. وظل يتنقل فى تدرج عبر سلم المعرفة؛ حتى اهتدى بذكائه وفطرته ودقة ملاحظته إلى الإيمان بالله ـ خالق الخلق ومصدر الوجود كله.

* **«سير توماس مور»** محام ومفكر إنجليزى كتب مؤلفه **(يوتوبيا)**، وعاش ـ فى ق ١٦ م ـ متولياً أرفع المناصب حتى أصبح كبيراً لأمناء الملك هنرى الثامن. لكن رفضه الاعتراف بشرعية زواج الملك من آن بولين أدى إلى إعدامه بالمقصلة.

* **«يوهانس كيبلر»** فلكى ألمانى ألف ـ فى ق ١٧ م ـ **(سومينيون)** وهى قصة رحلة أخرى إلى القمر، تعد أكثر ذكاءً فى وصف القمر.

* **«فرانسيس بيكون»** فيلسوف إنجليزى كتب ـ فى ق ١٧ م ـ قصته **(أطلانتس الجديدة)** وتحدث فيها عن مجتمع يماثل مجتمع قارة أطلانتس الغارقة.

* «**روبرت بالتوك**» روائى انجليزى كتب ـ فى ق ١٨ م ـ روايته (**بيتر ويلكنز**) ، وقام فيها برحلة إلى أعماق أحد الكهوف، وانقاد من خلاله إلى عالم باطن الأرض الحافل بأناسه الطائرين. وهناك تزوج بطل الرواية من يواروكى المخلوقة الطائرة، وأنجب منها ثمانية أطفال.

* «**نيل كليم**» مفكر نرويجى كتب كذلك ـ فى ق ١٨ م ـ روايته (**رحلة نيل إلى عالم ما تحت الأرض**) والتى نالت شهرة واسعة، وطبعت أكثر من ٦٠ طبعة وترجمت إلى ١٣ لغة. وقد وصف فيها عالم جوف كوكبنا الأرض بكائناته الشبيهة بالبشر وبحيواناته وطبيعته القاسية رغم جمالها.

* «**دانيال ديفو**» كاتب إنجليزى ألف ـ فى ق ١٨ م قصة (**روبنسون كروزو**). وقد جاءت ومثلها قصص (**طرزان ـ لإدجار رايس بوروز**) و(**رحلات جلفر ـ لسويفت**) فى كتابتها على نمط «رسالة حى بن يقظان» لابن طفيل(٧).

البداية الحقيقية: على أن أبوا قصص الخيال العلمى (**بمفهومه المعاصر**) ومعجزة قصاصى القرن ١٩ م هما بلا منازع، وكما يجمع النقاد:

ـ الفرنسى «جول فيرن» (**١٨٢٨ ـ ١٩٠٥ / ٧٧ عاما**).

ـ الإنجليزى «هربرت جورج ويلز» (**١٨٦٦ ـ ١٩٤٦ / ٨٠ عاما**).

وقد قاد «جول فيرن» أبطال رواياته فى رحلات بالغة الغرابة إلى أسفل سطح البحر بـ ٢٠ ألف فرسخ ـ وحول العالم فى ٨٠ يوماً ـ ثم قادهم إلى سطح القمر ـ وهبط بهم إلى باطن الأرض ـ وتسلل بهم بواسطة غواصته «نوتيليس» إلى أعماق البحار ـ كما ابتكر على الورق سيارة برمائية طائرة وغائصة فى نفس الوقت.

أما القصاص المؤرخ الإنجليزى «هـ . جـ .ويلز» فقد كتب لنا (**يوتوبيا جديدة**)، واخترع (**آلة الزمن**)، وجعل الإنسان خفياً، كما ذهب بدوره (**إلى القمر**)، ومشى على ثراه، ثم خاض حرباً مريرة ضد (**غزاة من المريخ**)، وتصور (**نجاة كوكب الأرض بمعجزة من الارتطام بجرم سماوى شارد ملتهب**).

وجملة القول فمع منتصف القرن ١٩ م، وفى أعقاب النهضة التى شهدها العالم والصناعة فى كافة المجالات، برز إلى الوجود أدب جديد هو «أدب الخيال العلمى».

الانتشار السريع: وإذا كانت البداية الحقيقية قد عرفت أول ما عرفت فى فرنسا وانجلترا. فإن الذيوع

الجماهيرى والازدهار الفعلى لأدب الخيال العلمى قد تم مع أوائل الثلاثينات فى الولايات المتحدة الأمريكية. وذلك بظهور نحو ٤٠ مجلة متخصصة، منها مجلة (قصص مذهلة ـ Amazing Short Stories)والتى نشرت مئات القصص سنوياً مما تتصل بالعلم ومنجزاته ورؤاه المستقبلية.

وهكذا وصل أدب الخيال العلمى قبيل الحرب العالمية الثانية إلى أوج ازدهاره فى الولايات المتحدة وأوروبا، كما بدأ يتلمس طريقه فى آسيا عبر الكتّاب الروس.

غير أن وقع الحرب على المثقفين والأدباء فى أنحاء العالم كان كبيراً. وتعددت ردود الفعل لاسيما فيما يتعلق بقدرة العلم فى صنع وسائل الدمار مثل القنبلة الذرية. لكن الدور المهم الذى أداه أدب الخيال العلمى أثناء وبعد الحرب، من كشف لمخاطر العلم وأضرار التقنية العسكرية وانحراف بعض العلماء خاصة فيما يتعلق بابتكار الشيطانى من أدوات القتل الإفناء. هذا الدور أعاد الثقة فى جدية وحيوية الخيال العلمى، وعمل على نشره وتهافت الناس عليه. ومن ثم عرف لأول مرة مايسمى **(بأندية)** و**(جماعات)** الخيال العلمى فى بلدان أوروبا وأمريكا[٨].

ثالثاً: مفهوم الخيال العلمى وتقسيماته

ترى ما المقصود بأدب الخيال العلمى؟

إن حضارتنا فى هذا العصر الذى نعيشه حضارة علمية قبل كل شئ. وقد قفز الإنسان قفزات مهولة فى مجالات التقنية. وإن ما تحقق من تقدم خلال الأعوام الخمسين الأخيرة **(لايمكن حصره)**. كما أن الفنان والأديب بالذات **(لايمكنه تجاهله)**.

وفى مقدورنا أن نقول بلا مغالاة أن البشرية أصبحت تمتلك الآن عديداً من الأدوات والوسائل العملية اللازمة لتغيير العالم. وخلال مراحل التغيير هذه ـ وتحت ظلال أفكار جديدة كل الجدة ـ تكمن «أجمل الرؤى وأروعها».

كيف عرف الاسم وتم تثبيته؟

وبداية فإن أدب خ. ع. «يدين باسمه ـ وليس بوجوده كما كان يصرح أحياناً ـ إلى هوكو جيرنز باك، والذى ابتكر مصطلح الخيال العلمى بتعبير: (Scientifiction) فى عام ١٩٢٦ ليميز محتويات «القصص المذهلة» إحدى المجلات الكثيرة التى يحررها. إلا أنه تحول بعد تجربة ثلاثة أعوام إلى تسهيل اللفظ الإنجليزى بجرس أعذب هو (Science Fiction). وقد أدى تبنى المصطلح الأخير ـ وبعد أن اتسع انتشاره ـ إلى إعادة تسمية المجلة المنافسة «قصص مدهشة» باسم جديد «قصص مدهشة من الخيال العلمى» (Astounding Science Fiction) فى عام ١٩٣٨. وظل المصطلح أعواماً

عدة بعدئذ يرتبط حصراً بقصص المجلات والمجاميع، التى تعيد طبع مثل هذه القصص. ولم يبدأ استخدام المصطلح كشكل أدبى مستقل فى صيغته النهائية: خ. ع. ـ .S .Fوبخاصة على أغلفة الروايات المطولة والمجاميع القصصية، إلا فى الخمسينات من هذا القرن.

وقد أصر جيرنزباك منذ البداية أن يعلن فى افتتاحيات مطبوعاته التجارية أن أسلاف كتّاب قصص خ. ع. هم: إدجار الآن بو وجول فيرن، وهـ . جـ . ويلز. أى أنه كان ثمة تواصل مباشر ومعترف به بين «قصص خ. ع.» فى القرن العشرين وتراث القرن التاسع عشر فى «الحكاية العلمية». على أن دراسات حديثة حول مصطلح خ. ع، الذى نعرفه اليوم أفتت أنه لم يكن من ابتكار جيرنزباك. فقد أرجع باحثون هذا المصطلح إلى كراسة منسية تعود إلى عام ١٨٥١. حيث سبق وتنبأ كتيب جادلوليم ولسن بانتشار نوع من الأدب التعليمى الجديد، ينطبق بوجه خاص على الخيال العلمى، الذى يمكن أن تقدم من خلاله حقائق العلم المكتشفة محبوكة فى قصة ممتعة، يصح أن تكون هى ذاتها شعرية وحقيقية بحيث تلبس العلم ثوب الحياة(٩).

ومن ثم يصبح فى مقدورنا أن نتبين المفهوم الدقيق لأدب خ. ع. فيما تتالى من تعريفات لعدد من الباحثين المدققين والممارسين المبدعين فى كتابة هذا النوع من الأدب. نورد ملخصاً لأهمها:

تعاريف شتى:

* والتعريف الأول مصدره الكاتب والناقد الأمريكى «جى. أو. بيلى» ويحدد فيه (أن القصة العلمية تترجم المكتشفات والمخترعات والتطورات التقنية التى ظهرت، أو الغريبة الظهور، أو المحتمل ظهورها فى المستقبل البعيد. إلى مشاكل إنسانية ومغامرات درامية).

* التعريف الثانى للناقد والباحث الألمانى الدكتور «ى. هينْجر» ويقول فيه (إن الخيال العلمى اصطلاح يطلق على ذلك النوع من الأدب الروائى، الذى يعالج بكَيفية خيالية مدروسة استجابة الإنسان لكافة ما يحيطه من تقدم وتطور فى العلوم وتقنياتها، سواء كان فى المستقبل القريب أو البعيد أو الآتى على البعد السحيق).

* أما ثالث التعاريف فصاحبه كاتب أمريكى هو «جروف كونكلِين». والذى قدم إحدى مجموعاته القصصية قائلاً (إن القصة العلمية ليست مجرد مغامرات مثيرة تعالج الفضاء وعوالمه القصية، أو الوحوش جاحظة العيون، أو الأكوان السحرية، أو رؤى المستقبل ومفاجآته. فبالإضافة إلى ذلك كله مما تعالجه بالفعل.. نجد أن القصة العلمية تتمتع بغريزة تتعلق بالأفكار والتساؤلات الحائرة عمّن يحيطون بنا. بل وتتعلق بالعالم على اتساعه)(١٠).

* على أن الروائى الفرنسى «بيير بنوا» مبدع رواية «وازن الأرواح» يقول فى حوار له مع أحد الصحفيين (إن الرواية العلمية ليست فقط تلك التى تتخذ الإنجازات العلمية والاختراعات التقنية مضموناً لها. وإنما هناك أيضاً الرواية التى تتعرض لموقف الإنسان من الآلة بحكم أنها النتاج المباشر للعلم الحديث. وكذلك الرواية التى تمزج عناصر الطبيعة وقواها داخل نسيجها الفنى. فالنوعان الأخيران يتطلبان معرفة شاملة وعلماً واسعاً من المبدع بنظام الميكنة وقوانين الطبيعة والأحياء).

* وأما التعريف الخامس فصاحبه الروائى الإنجليزى «كينجزلى آمز». وقد تخصص كذلك فى دراسة الخيال العلمى، وله كتب عدة فى مجالها. أحدها بعنوان «خرائط جديدة للجحيم» قال فيه (إن القصة العلمية هى ذلك النوع من القصة النثرية، التى لم تستطع الظهور فى هذا العالم الذى نعرفه. وإنما هى تقوم على فرض أساسه ابتكارات العلم أو التقنية، أو ما يسمى بالعلم الكاذب أو التقنية الكاذبة. سواء كانت هذه الابتكارات من صنع البشر أو من صنع كائنات من خارج الأرض نفسها)..

المفهوم المتفق عليه عربياً:

وهكذا ـ وعلى ضوء التفسيرات السابقة ـ يمكننا أن نخرج بمفهوم صريح لأدب الخيال العلمى. فنقول إنه (تناول التقدم العلمى ومنجزات التقنية وتطورها الصالح منها والضار، من خلال أحداث درامية).

وبالتالى فإن أدب الخيال العلمي هو (نوع من المزج أو المصالحة بين الأدب وبين العلم. فالأول قائم على الخيال، والثانى قائم على التجربة واستقراء الواقع والانتهاء إلى قوانين محددة).

ـ فأدب الخيال العلمى هو (نوع من التوفيق بين النشاط الخيالى والنشاط العلمى للإنسان)(١١).

ـ أنه أدب (تصور المستقبل) من وجهات نظر مختلفة واجتهادات منطقية متطورة.

ـ أنه الأدب الذى (يحلم باللحظة التى ينتصر فيها الإنسان) على الشيخوخة مثلاً. ومتى يقهر الأمراض. ويتحكم فى التعب. ويمحو الألم. ويتلافى إضاعة الوقت فى النوم أو الجلوس لتناول الطعام أو الذهاب إلى دورة المياه.

ـ وهو الأدب الذى يخترق باطن الأرض. ويغوص فى أعماق البحار. ويهزم المسافات بين الكواكب والنجوم فى أنحاء الكون اللانهائية. ثم فى النهاية يعدنا ـ عقلياً ونفسياً ـ لاستقبال كائنات أكثر رقياً (تفد من عوالم قصية) أو أقل رقياً (نذهب نحن إليها) أو قد نتفاهم وإياها على البعد عبر موجات بث لاسلكية غامضة.

ـ بينما يصل أدب الخيال العلمى الفرد بماضيه وحاضره ومستقبله. بل ويطلعه فى تحد على ما يحيطه من غيبيات وظواهر مبهمة مثل (ما يسمى بالخوارق) كالتخاطر ـ والأحلام ـ والتنبؤ ـ والاستشفاف أى الرؤية عن بعد ـ والعلاج باللمس ـ إلى آخره.

كذا فأدب الخيال العلمى على الرغم من تنوع توجيهاته وتميز موضوعاته هو أحد أهم الوسائل المعينة للعقل على فهم العالم واستشراف المجهول منه. وزيادة وعيه بذاته وبموقعه التاريخى والحضارى.

ـ والتوقع والاحتمال أو ما نطلق عليه (الحلم العلمى) هو جوهر الكتابة فى مجالات هذا الأدب. الذى يتنبأ بما هو آت ليحذرنا منه، أو ليزيد جرعة الأمل فى مستقبل مشرق نقضى فيه على مشاكلنا وعثراتنا ،ونحل فيه معضلات حياتنا، أو ليَسْخر من عجزنا وضعفنا وحيرتنا أمام عناصر الكون اللامتناهية وأسراره المتراكمة، والتى كلما توصلنا لحل عديد منها، فوجئنا أننا لم نمس غير القشور، وأن ما تبقى من أبواب مغلقة إنما يحتاج دهوراً من البحث والفحص والدراسة.

لكن بقى قبل أن نترك موضوع تعريفات أدب الخيال العلمى وما توصلنا إليه من مفهوم لهذا الأدب، أن نتوقف لدى ملاحظتين مهمتين:

أولاً: أن القصة العلمية مهما تعلقت بالعلم أو التنبؤ، فهى لاتستطيع ـ أو يجب ألا تستطيع ـ التحرر من كونها فى الأصل قصة، بمعنى أنه لابد من توفر عناصر القصة فيها ابتداء من الحكاية والحادثة، إلى الشخصية؛ بحيث لايكون أى من هذه العناصر مسطحاً أو ذا بعد واحد، كما هى الحال فى كثير من نماذج القصة العلمية، وكى نعطيها القدرة على البقاء.

ثانياً: إن القصة العلمية إذا جاز أن تتعلق بالعلم التجريبى أو التطبيقى، فلا يجوز أن تتحرر من العلم الإنسانى أو ما نسميه بالعلوم الإنسانية أو الاجتماعية، فإن تعلق القصة العلمية بالعلم التطبيقى وحده يفقدها صلتها بالإنسان، من حيث هو كائن اجتماعى يأمل ويتألم ويعمل ويجرب ويشق طريق حياته بكل معطياتها.

تقسيمات الخيال العلمى:

إن كتّاب هذا الأدب والقائمين على البحث والدراسة فى مجالاته لايختلفون فى شأن من شئونه قدر اختلافهم حول تقسيماته. فإذا اكتفى أحد الباحثين ـ مثلاً ـ باعتبار (قصص الفضاء) واحدة من نوعيات الخيال العلمى، فإن باحثاً آخر يقسم ذات النوعية إلى تفرعات أكثر تخصصاً مثل (كوارث الفضاء) و(حروب الفضاء) و(رحلات الفضاء) و(مستعمرات الفضاء) و(مخلوقات الفضاء)..... إلخ. فى حين يفتت باحث ثالث التفرعات الجديدة إلى تفرعات أصغر وأدق فيقول عن تفرع (رحلات الفضاء) على سبيل المثال «الصعود إلى الفضاء» و«الهبوط من الفضاء» و«الفضاء القريب» و«الفضاء البعيد» و«الفضاء البالغ النأى ـ أو لدى أطراف الكون السحيقة» أو يقسم (مخلوقات الفضاء) إلى «المخلوقات المماثلة لتكوين بشر الأرض» أو «القريبة التكوين منهم» أو «المختلفة التكوين عنهم».... إلخ.

غير أن التقسيمات التالية هى الأكثر قبولاً من الغالبية والأكثر اعترافاً فى الدراسات الأكاديمية. فأدب الخيال العلمى ينقسم إلى نوعين بارزين من القص، هما:

أ ـ الخيال العلمى (المنضبط): وهو ذلك القائم على حقائق علمية ثابتة تمتد وتستكمل، عن طريق الخيال القائم على فرضيات مدروسة يمكن تحقيقها.

ب ـ الخيال العلمى (الجامح أو الفنتازى): وهو القائم على صور ورؤى خيالية بالغة الشطط والغرابة، والتى لاتقوم على أية فرضيات مدروسة، وإنما مصدرها الحدس والتخمين والخرافة والمبالغة والإثارة وما شابه.

جـ ـ وينقسم الخيال العلمى المنضبط بدوره إلى عدد من النوعيات ضمن نفس الإطار الرئيسى، وتتحرك من خلاله. مثل: اليوتوبيا (أو المدينة الفاضلة) ـ المستقبلية (وما شكل الأشياء فى الزمن القادم) ـ قصص الفضاء ـ الخيال السياسى ـ الكوارث ـ الخوارق ـ الرحلات فى الزمان والمكان ـ الآليون (الروبوت) ـ العوالم المجهولة (ظاهرة وخفية، على الأرض أو بعيداً عنها)(١٢).

أهم أهداف قصص الخيال العلمى:

إن السؤال الذى يطرح نفسه فى المبدأ هو: هل يمكن بضربة واحدة أن يقضى سيف الفناء البتار على البشرية كلها؟ أو معظمها؟ وذلك بقيام (حرب نووية) بمحض الصدفة؟؟ والإجابة للأسف: نعم!!

هكذا نرى أنه يمكن عن طريق «قصص الخيال العلمى» وبأسلوبها الفعال المشوق أن نكشف القناع عن أخطار التقدم العلمى والتقنى فى مجالات الفتك والدمار والإبادة.

وفى تقرير «لهيئة اليونسكو» التابعة للأمم المتحدة تقول إحصائية فيه:

٣٥٪ من علماء العالم يعملون اليوم مباشرة فى أبحاث الفتك والإبادة.

و ٢٠٪ منهم يعملون بطريق غير مباشر ـ فى الخفاء ـ فى الأبحاث ذاتها.

و ٢٠٪ منهم يعملون فى أبحاث نصف سلمية ـ كمواد الأيروسول الضارة.

و ١٥٪ منهم يعملون فى أبحاث سلمية ـ ولكن يستفاد منها أو من نظرياتها فى الحروب أو الاقتتال (كالمفاعلات النووية السلمية).

٩٠٪ جملة المستفاد منه فيما يضر ويهلك الإنسان.....؟ ويبقى ١٠٪ من علماء اليوم يعملون فى «أبحاث سلمية صرفة».

وينبغى أن نلحظ أن لكلمة علم معان عديدة، فهى تعنى الفلسفة الطبيعية أى الدراسة الموضوعية المجردة للطبيعة. ولكنها تقصد أيضاً التطبيقات العلمية لخدمة أغراض

تجارية وحربية وسياسية. وقد كان هذا النشاط ذا فائدة كبيرة للإنسانية لمدة قرن من الزمان إلا أنه اتضح خلال العقود الأخيرة أنه قد جعل من العلم أداة تهديد لنا جميعاً. وما دور العلماء بحكم طبيعة مهنتهم إلا القيام باستكشاف العالم من حولنا، بدءاً من الذرات الصغيرة إلى عالم المجرات العملاقة إلى المحيط الحيوى ـ ومنه المجتمع الإنسانى ـ وتعقيداته اللامتناهية. غير أن أهم الألغاز التى تحتاج تفسيراً هو «لماذا يقوم الإنسان ـ الذى يعيش عادة فى سلام ووئام مع الآخرين ـ بقتل انسان آخر؟ وأحياناً بقتل ألوف منه»؟ أجل لماذا يقتل أناس بعينهم ملايين من البشر غيرهم خاصة، وقد تيسر مؤخراً امتلاك وسائل الإبادة النووية. وأن وسائل الضغط على الأزرار التى تقتل الملايين من المدنيين الأبرياء ـ بمن فيهم من أطفال ونساء وشيوخ، أو بالأحرى يعذبهم حتى الموت ـ لاعلاقة لها بالفروسية والبطولة من قريب أو بعيد.

لذلك علينا أن نعلن بوضوح أن كفاحنا ضد طرق الإبادة الشاملة نووية كانت أو بيولوجية أو كيماوية أو غيرها مما يهدد البشرية فى صميم وجودها وبقائها على كوكب الأرض لابد وأن تعطى له الأولوية على مقاومة الأسلحة التقليدية. وأما خير طريق والأكثر حسماً وإقناعاً فإنما يكون بقلم كاتب جاد لأدب خ. ع، وعبر واحد من إبداعاته الدرامية المؤثرة. إن التصعيد الهائل لابتكار المزيد من أدوات القتل والدمار ومن ثم الانزلاق إلى حلبة سباق التسلح والحرص على تخزينه يولد الآن ردة فعل صحية فى كافة أنحاء العالم، كما يتزايد عدد العلماء، وفى مقدمتهم الأطباء الذين ينضمون لمعارضة «سباق الفناء» تزايداً سريعاً. إلا أن عبء المعارضة الرئيسى تتفرد به أقلام بالغة الموضوعية والتحمس، لعل أبرزها ما تندرج تحت مظلة أدب خ. ع. وتتفاعل بأسلوبه ورؤاه، خاصة من خلال تطور الأحداث وصور الأشياء فى الزمن القادم(١٣).

وأهداف حيوية وأخرى طريفة:

من ناحية أخرى فإن التقدم العلمى والتقنى لاتقتصر أخطاره على زمن الحرب فحسب، وإنما له أخطاره فى زمن السلم كذلك (رعب التلوث ـ القضاء على عنصر الطبيعة ـ انتشار الآلة وازدياد البطالة ـ الضوضاء ـ الزحام ـ ثقب طبقة الأوزون الحامية ـ مشكلة الفوارغ من الزجاجات والعلب والصناديق ـ مقابر السيارات القديمة وغيرها من العدد المستهلكة؟ ـ انتشار أمراض الحساسية إزاء مواد الصناعة.... إلخ).

ومن أهداف قصص الخيال العلمى مناقشة موضوعات حيوية مثل (الجديد فى الطب والعلاج ـ تعمير الصحارى الرملية والجليدية ـ استغلال ثروات البحار والمحيطات ـ مشكلة الطاقة ـ مشكلة الطعام ـ ما مدى امكانية استعمار الكواكب القريبة ومن ثم استغلالها لفائدة البشر؟).

وأيضاً يحلو لقصص الخيال العلمى أن تثير قضايا بالغة الطرافة، مثل (هل توجد مخلوقات غيرنا بأنحاء الكون؟ هل بمقدورنا تجميد البشر؟ هل سيسيطر الإنسان الآلى

على صانعه البشرى؟ هل تكون سينما المستقبل فى قلب ذاكرة الإنسان؟ ومتى يظهر الإنسان الطائر؟ والإنسان الأخضر؟ والإنسان السمكة؟.... إلخ.

ومن بين الموضوعات العلمية التى يهتم بها الناس فى العصر الحديث بكافة جهات عالمنا، يبرز موضوعان حيويان يستحوذان على انتباه الغالبية. ألا وهما الزمن والفضاء (أو الفراغ) وقد قتلهما الفلاسفة والعلماء وبخاصة الفزيائيين منهم، بحثاً وفحصاً ودراسة وأفتى فيها ـ ومايزالون ـ عديد من خبراء الفضاء، ومن خاضوا تجارب غزوه حتى خطوا بأقدامهم على ثرى القمر.

ومن ثم برزت قضية الفضاء والزمن على رأس القضايا الأساسية التى تقلق اليوم الكتّاب والمسرحيين والشعراء، وتثير بالذات تساؤل معظم كتّاب الخيال العلمى وبكيفية أكثر من السابق. فتيار الزمن قد اكتسب معنىً جديداً الآن يختلف عن معناه فى عهود سيادة مفاهيم نيوتن؛ حيث كشف آينشتاين عن الوحدة العضوية للزمن والفضاء، وأعاد النظر فى مفهوميهما اللذين تبناهما الفيزيائيون القدماء وفق هندسة أقليدس. ثم ظهرت فرضيات مدهشة تهدف إلى شرح المتناقضات القائمة فى مفهومى الفضاء والزمن، فى علم الفضاء الذى يشهد اليوم تطورات سريعة. ومن المتفق عليه أن الحالة الحقيقية للأشياء تتجاوز حتى أكثر التخيلات جموحاً.

ومنذ ستينيات القرن الحالى ظهر عديد من مؤلفات خ. ع. حول موضوعى الزمن والفضاء، لعل من أبرزها رواية الروسى المولد الأمريكى الجنسية اسحاق آزيموف المسماة «نهاية الخلود»، ورواية الأمريكى آرثر.س. كلارك «المدينة والنجوم». وعملان آخران للكاتب البولندى ستانسلاف لم، وهما روايتا «العودة من النجوم» و«سولاريس»، ورواية الكاتبة النمساوية هنلور فالناك المسماة «اللجوء فيما خلف الزمن»، والكاتب السوفييتى فالنتين كاتييف الذى سجل قصته الجريئة «مقبرة سكاليانى». وأن الأمثلة لا تنتهى فى هذين المجالين المثيرين لفضول الإنسان إلى ذراه. الزمن والفضاء. بعد أن حاولت أقلام جادة أن تعبّر عن أفكار أصحابها من بلدان شتى حول إدراك البعض من متناقضات لاتنتهى(١٤). كما شارك الكاتب المصرى نهاد شريف بروايته «قاهر الزمن».

بلا خيال لا إبداع ولا شئ بالمرة:

إن عظمة أدب خ. ع. أنه إضافة لفهم العلوم والتقنيات يعتمد كذلك على بذل المخيلة فى حضور موهبة التنبؤ بالأشياء القادمة والتنبيه والتحذير من أخطارها.

إن الخيال يكمن أساساً فى كل نشاط إبداعى علمياً كان أو تكتيكياً أو فلسفياً. وإذا ما درسنا حياة ابن الهيثم والبتّانى وابن سينا وليوناردو دافنشى وباستير وآينشتاين وكثيرين مثلهم من العلماء المبدعين، لوجدنا أن الخيال كان له النصيب الأوفر فى تحقيق ما توصلوا لاكتشافه. يقول عالم الفضاء وخبير الصواريخ الروسى كونستانتين

تسيولكوفسكى «أن الأرض هى مهد الفكر الإنسانى لكننا لانستطيع أن نقيم فى المهد إلى الأبد». ومن هنا يجدر الاعتراف بأنه قلّما حقق الإنسان مطلباً جديراً بالذكر من دون ما أحلام. غير أن الأحلام ـ أى الخيال ـ كى تؤتى أكلها يجب أن يتحكم فيها العقل، وتنبنى على معطيات الواقع الملموس.

وكحصاد لقرون عدة من (التخيّل) العقيم ومن (أحلام اليقظة) البالغة التطرف، والأقل تطرفاً، والقريبة من التصديق والإمكان. نصل فى النهاية رحلة الزمن المضنية إلى الواقع بكل حذافيره وتواجده. أو لم تتحول أحلام لوسيان السورى وعباس بن فرناس ودافنشى ويوهانس كيبلر وسيرانو دى برجراك وجول فيرن وويلز وآخرين (بارتياد الفضاء والوصول إلى القمر) من مجرد نظريات على الورق إلى خطى فعلية، استقامت على ثرى الجرم التابع للأرض، والذى طالما ألهم الشعراء والمحبين! كذلك سفينة جول فيرن القادرة على الغوص، ألم تصبح بقدرة العلم غواصة تستخدمها دول العالم كأشد أسلحة البحر ضراوة وبأساً. وصندوق جورج ميليز وبه الشاشة الناطقة ألم يتحوّل هو ذاته إلى جهاز التليفزيون العجيب. بل إن عديداً من الرؤى فى الطب والهندسة ومجال الفضاء والعلوم العسكرية وعلوم البيئة والبحار وغيرها بكل تفرعاتها ودوربها. وتدنياً إلى أدوات المنزل الحديث وخاصة مطبخه قد بدأت مجرد خيالات، وانتهت واقعاً ملموساً دامغاً (١٥).

رابعاً: رسالة الخيال العلمى ودوره الحضارى:

وحين نؤكد أن العلم فى حقيقته سلاح ذو حدين. فمن غير المفكر الفنان كاتب خ. ع. يمكنه أن يكشف النقاب، ويتنبأ ويحذر، ويعدد حسنات وأضرار حدى السلاح!! من غيره يمكنه فى صدق وحماس أن يستعرض من خياله عصوراً ذهبية مقبلة تظللها منجزات العلم الرائعة ونمو مسيرة التقنية المتطورة البراقة. أو فى المقابل يحدد لنا برؤيته المنطقية معالم دنيا كئيبة يسودها القهر والتلوث والدمار والفوضى الشاملة. أو هو يؤكد صوراً جامحة لانطلاقة البشر إلى آفاق أكثر رحابة، وأبعد انتشاراً ونأياً فى أعماق الكون بين شموسه وكواكبه وأجرامه الحافلة بالأسرار الغنية بالأعاجيب والألغاز الغامضة. أو هو يحذر من مصير مجهول، تساق إليه شعوب الأرض وملايين مخلوقاتها حين يشتعل الكوكب بالحروب النووية والكيميائية والميكروبية..... إلخ، التى تؤدى ـ لاقدر الله ـ إلى تفجيره وتفتته وتلاشيه أو تحوله لمجموعات من آلاف الحجارة، وكما هو حال أرتال الكويكبات فى منطقة انتشارها بين المريخ والمشترى.

قدرات ومجالات رحبة بلا حدود:

إن قصص خ. ع. تهيئ نشر الحقائق العلمية وشرح جوانبها وتفرعاتها وأهدافها بأسلوب فيه كثير من عوامل التجسيد الفنى وتعميم الأفكار المختلفة عن صور المستقبل. ومع هذا فإن هدف هذه القصص ليس فقط إيصال المعلومات إلى الكبار والصغار، وإنما الأهم إشباع مخيلاتهم ودفع عقولهم إلى التفكير فى آفاق أكثر انطلاقاً وتحرراً وابتكاراً. لذا تعد تنمية قدرة القارئ على التخيّل والتأمل والبحث والتجريب والمرونة الذهنية

والتأقلم مع الجديد والغريب أهدافاً لهذه القصص. ولم يعد أدب خ. ع. يقتصر على القصة، وإنما تعددت صولاته وجولاته فشملت المسرحية والشعر وحتى الرسم والموسيقى. كما نجد خ. ع. فى كتب ومجلات متخصصة يوجه أغلبها للأطفال، وأيضاً فى موضوعات خصصت للمسرح والإذاعة والتليفزيون وفى أفلام سينمائية ونوت موسيقية!

وتعتبر أفلام خ. ع. السينمائية والتليفزيونية أكثر تأثيراً على المتلقى؛ حيث تتهيأ لهذه الأفلام إمكانات واسعة فى الإخراج عن طريق الاستعانة بالمؤثرات المختبرية والخدع السينمائية (المؤثرات الخاصة) إلى مدى بعيد. بما فى ذلك استخدام العقول الإلكترونية فى إبداع الصور المطلوبة للفيلم. غير أن قدرة الإذاعة المسموعة تعد أكبر وأكثر بعداً فى إثارتها لكوامن المخيلة عنها فيما تقدمه المرئيات من ديكورات وأشكال وأناس.... إلخ، سبق تحديدهم بواسطة الإخراج.

وتجدر الإشارة هنا إلى تنبه المسئولين على صرح الإذاعة المصرية وعلى مستوى كافة محطات بثها ـ وقبل جهات الإعلام الأخرى ـ إلى أهمية نشر دراما خ. ع. منذ بدء تعرفه عربياً.

لهذا أسموه أدب المستقبل:

كذلك فإن بنيان قصص خ. ع. القائم على خيال منطقى مدروس يتيح لنا تلمس الصورة المنتظرة لتطور مستقبلنا وتغير ظروف حياتنا فى ظل سيادة العلم ودوام البحث والكشف والعيش فى مجالاته، وهو ما يسمى بالمستقبلية. وأن الخيال المزود بفهم علمى هو وسيلتنا للنظر فى المستقبل والتكهّن به والاستعداد له؛ لأنه يسد الفجوة بين ما هو معلوم لدينا بالفعل، و ما لايزال مجهولاً. ويتم ذلك بالانطلاق الذهنى نحو بدايات وأفكار جديدة لم تطرق قبلاً. ومن هنا عن طريق الخيال فى المبدأ يمكن تطويع العلم وتطويره، ومن ثم الذهاب به إلى آفاق جديدة بل غير متوقعة، والتى قد تبدو مغرقة فى غرابتها وبعدها عن التصديق!!

الآن وقد وصلنا إلى حتمية «أن الإنسان بلا خيال يفتقد الابتكار وبالتالى يتجمد ولا يتقدم». فإننا بالضرورة لابد وأن نحدد جميع الجوانب المشرقة للدور الكبير الملقى على عاتق أدب خ. ع؛ خاصة فى تكوين عقلية الصغير، وإلى أن يصير شاباً يافعاً وبعدئذ يصل حد الرجولة، لاسيما ونحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين. إن التفاضل بين الدول يتم عن طريق العلم ومدى تقدمه وبجهد العلماء وتلاحق أفكارهم واكتشافاتهم. وهكذا يغذى أدب النوع عقول جميع الأعمال المستوعبة لإبداعاته سواء مقرؤة أو مسموعة أو مرئية، والقائمة دائما على أفكار ومنجزات وتصورات العلم وأدق مساراته(١٦). ومن الطبيعى ألا ينجح أى كاتب روائي، ولا أى باحث علمى لايحب ميدان بحثه، ولا يتحمس له؛ فالعاطفة مهمة وضرورية فى مجال خ. ع. كما فى البحث العلمى؛ لأنها الطاقة التى تولد الشغف والإصرار بحيث يستمر حتى يبلغ هدفه(١٧).

كيف يسهم هذا الأدب فى نشر الثقافة العلمية :

وحتى نتبين الدور الحيوى الذى يؤديه أدب خ. ع. ونتفهم أهميته ومدى تأثيره فى نشر الثقافة العلمية بطول البلاد وعرضها وكيفية تعلق السواد الأعظم من جماهير الشباب بمعطياته. فلابد من استعراض أهداف هذا الأدب وإيضاح ما يحققه وبفاعلية متصاعدة من جهود جادة وبناءة فى عديد من المجالات، عبر النقاط التالية:

* فأدب خ. ع. يشرح العلوم ويبسطها (دون تسطيح لها) ويحث المتلقى (سواء القارئ فى كتاب، أو المستمع لإذاعة، أو المشاهد فى سينما أو مسرح أو تليفزيون) على الشغف بالعلوم ومعايشة الأجواء العلمية، رغم ما قد يعترض ذلك من صعوبات أو تعثر فى المبدأ.

* وكما يحبب أدب خ. ع. فى العلوم فإنه يحارب انحرافاتها ويكشف أخطار استخداماتها أو عبث العلماء بمقدراتها. ويوجد لدينا الوعى بحدى سلاح العلم والتقنيات المتطورة النافع منها والضار. وإذا كان العلم فى حد ذاته لايصنع حضارة، فإن ما يطور البشر ويدفعهم قدماً فى طريق الإبداع والابتكار، ومن ثم التحسين والتطوير والارتقاء، إنما هو قدرات الأفراد ثم الجماعات وأسلوبها فى استيعاب وهضم معطيات العلم، وتجنب أخطاره وسلبياته.

* كذلك فإن أدب خ. ع. يعد انطلاقة شجاعة تتناول الأفكار العلمية الجديدة والمنتظرة، بل وغير المألوفة. فتخوض غمارها وتناقشها وتشرح أبعادها (مهما بدت رؤاها المستقبلية موغلة فى التطرف والنأى عن الواقع الملموس). ولنأخذ مثالاً من الدراسات الفنية التى تكتب اليوم حول الفوارق والاختلافات بين أنواع وأشكال (المخلوق الفضائى أو القادم من الفضاء) و(إنسان الأرض). لتحل هذه الدراسات محل ما شغل مخيلة البشر فى العصور القديمة ثم الوسطى من أنواع غامضة لعرائس البحر، وكذا النوارس والحيتان ذات الرؤوس البشرية والناطقة بتعبيرات لغوية فى أحيان(١٨).

* ومن منافع هذا الأدب ـ خاصة الحديث منه ـ أنه يوجد مدخلاً إلى الفنون التشكيلية وفنون الموسيقى التعبيرية. أما السينما فقد استنبطت من أجلها تقنيات مبتكرة والتى سميت المؤثرات الخاصة.

* وواحدة من مهام أدب خ. ع. الرئيسية والفعّالة للغاية أن أفكاره وخطاه وما يتبلور من تصورات وتوقعات هى فى الغالب رؤى قابلة للتحقيق، ومن ثم تعد «تجربة المستقبل» أو هى «طاقة النظر إلى شكل الأشياء القادمة». والتى تتفاعل لتؤدى دوراً حيوياً فى «الحد من صدمات المستقبل» بمجابهة التطور العلمى المهول، وحتى نتهيأ لملاقاته والتكيّف معه. (أ)

* وفى الغد سيكون امتلاك السلطة لمن يمتلك المعرفة بقدر أكبر وأعمق؛ أي يملك ناصية التقدم العلمى فى النهاية. وإذا كان اختراع رموز الكتابة فى شكل رسوم، ثم اختراع الأبجدية واختراع الصفر إلى اختراع العجلة فالبوصلة والساعة، هى بدايات فى سلسلة بالغة الطول .ولا تنتهى من الاختراعات، لعل من أواخرها الحاسب الآلى. وقد ضوت وظهرت جميعاً فى لحظات نادرة، وبالمناسبة فإن هذا الحاسب سيصيب مؤرخى ومخترعى الغد بارتباك شديد حين يواجههم بمخزونه الرهيب من المعلومات والوقائع التى سيتركها جيلنا الحالى. أقول ففى تقديرى رغم صعوبة المهمة ومبلغ مشاقها، فإن الفرج آت على أيدى كتّاب خ. ع، الذين ستزداد أعدادهم وتثقل خبراتهم، حين يعكفون على تفسير وبلورة هذه المعلومات الساحرة عبر إبداعاتهم الدرامية.

* ودوام قراءة أدب خ. ع. ومشاهدة موضوعاته (فى السينما والمسرح والتليفزيون) والاستماع إلى أفكاره (فى الأذاعة). ينتج عنه وعى وفهم ومعايشة سرعان ما تتحول إلى موجات؛ حيث تدفع الشباب بالذات إلى حب العلوم. وبالتالى الدراسة فالتجريب والاختبار وإلى التفكير فالاقتناع. وحتى يصلوا فى آخر المطاف إلى حد الابتكار والاختراع. **(ب)**

* وبمعنى أدق فأدب خ. ع. هو أساس وطيد معروف من الأسس، التى تساعد على تكوين العلماء وتشحيذ طاقاتهم وتوجيههم، ولو من بعيد إلى لحظات تألقهم الإبداعى. **(جـ)**

* أيضاً فإن أدب خ. ع. هو أول من يتصدى لثورات العلم الكبرى، فينبهنا إليها ويكشف أسرارها تلك التى تحدث تغيّرات عميقة فى حياة البشر، وتقلب عديداً من الموازين الفكرية والاجتماعية والاقتصادية. ولدرجة أن «يقرن العصر كله باسم هذه الثورة».

ـ حيث سميت الفترة الزمنية من منتصف ق ١٨ إلى منتصف ق ١٩ بعصر الثورة الصناعية الكبرى. (الانتقال من العمل اليدوى إلى الآلى).

ـ كذلك سمى النصف الأول من ق ٢٠ بعصر الثورة الذرية (تحطيم الذرة وكشف أسرارها).

ـ كما سمى النصف الثانى من ق ٢٠ بعصر ثورة الإلكترونات والمعلومات.

ـ بينما يتنبأ كتّاب خ. ع. بأن العصر القادم خلال ق ٢١ سوف يشهد اندلاع ثورتين فى منتهى العظم والخطورة. هما ثورتى: هندسة الوراثة، والذكاء الصناعى[١٩].

* كذلك أعتقد بأنه ليس مبالغة منى أن أعلن فى ثقة أن أدب خ.ع. قد ساهم ـ

ويساهم ـ بفعالية وإخلاص فى استمرار تقدم وتطور حضارتنا البشرية على كوكب الأرض.

وأنه واجب وطنى مقدس:

وإذ اهتمت الدول المتقدمة منذ ما قبل منتصف القرن الحالى بأهمية مساعدة الجماهير على فهم العلوم، وتقبل التقنيات المتطورة عبر وسائل اعلامها. فإن دولاً أخرى بدأت تتحرك مؤخراً فى ذات الاتجاه لتوعية جماهيرهم وتثقيفهم علمياً. وبينما نجد أن أغلب العلماء والباحثين تشغلهم أبحاثهم، فإن كثيرين منهم أيضاً غير مدربين على الكتابة خارج مجالات تخصصهم، ومن ثم يفتقدون القدرة على مخاطبة واقناع الجماهير. الأمر الذى يحتم ظهور نوعية جديدة من الأقلام الصحفية والقدرات الحوارية، التى تمتلك عمق الإلمام والفهم العلمى إلى جانب يسر وفصاحة الصياغة والتعبير مع صدق الأقناع. أثناء إيصال ما لديهم إلى عامة الجماهير؛ لاسيما عندما يتم ذلك عبر الشاشات الصغيرة(٢٠).

وحتى نصل إلى إيجاد هذه النوعية الجديدة من الأقلام المتخصصة فى مجالها لتوعية الجماهير العريضة.. فإن التحدى لنشر المعرفة العلمية يجب أن يشمل قيام تعاون إعلامى وثيق يضم أكبر قدر من المتطوعين إلى الركائز القائمة بالمسئولية فى مجالات: العلماء ـ الصحفيين ـ الأدباء ـ المعلمين ـ أساتذة الجامعة ـ المذيعين ـ الفنانين ـ أعضاء الجمعيات العلمية ـ أعضاء النوادى المتخصصة بما فيها الرياضية ـ أفراد الهيئات والتنظيمات الأهلية ـ المغتربين فى خارج مصر..... إلخ. وأيضاً كل من يجد لديه القدرة للإسهام بأقل جهد، ولو عن بعد!

خاتمة

على أن كتّاب أدب خ. ع. بأنحاء العالم الغربى وأيضاً فى عدد من بلدان العالم الثالث إنما يزدادون غزارة فى الإبداع عاماً وراء آخر. وينهمر السيل على مر الأيام فيبلغ حداً من الإقبال الجماهيرى، فعبر آلاف الصحف والمجلات المتخصصة والتقليدية، تكتب القصص والدراسات المتعمقة، كما تصدر مئات الروايات والمسرحيات والمجاميع القصصية الجديدة يوماً بعد يوم، إلى جانب تكوين عديد من شركات الصوتيات والمرئيات، ومحطات البث الإذاعى والتليفزيونى، وإقامة الأندية والجمعيات الفريدة المبتكرة لأدب النوع وعشاقه، وإنشاء مكتبات صخمة تكتظ بمؤلفات وأشرطة ولوحات ونماذج متحركة لأفكار خ. ع، يحار المرء فى استيعابها.

أما دور السينما فقد أغرقتها فى الآونة الأخيرة طوفانات من أفلام خ. ع. الأجنبية. وكذا هناك أفلام سينمائية وتليفزيونية صنعت مبسطة، وأفلام كرتون تجتذب الأطفال حتى سن الشباب ويقبل عليها الكبار فى نفس الوقت. وهى فى أغلبها أفلاماً مأخوذة عن مؤلفات كبار كتّاب خ. ع، وذلك رغبة من الدول المتقدمة فى ارتياد كافة الطرق التى تقود إلى العلم وفهمه ثم الأخذ به، ومن أولها طريق أدب خ. ع.

فإذا كان هذا حال الدول المتقدمة والأقل تقدماً فى التعامل مع أدب النوع. بينما انفكت قبضة (احتكار) الاستوديوهات الأمريكية وأولها القابعة فى هوليوود. وأصبحت أفلام خ. ع. تنتج اليوم أيضاً بالاستوديوهات الألمانية واليابانية والفرنسية والإسبانية وبكثير من أستوديوهات الدول سابقة الاشتراكية؛ ليزيد حجم عطائها عن مائة فيلم سنوياً تقابل جميعاً بالثناء[٢١]. بل وأنتج أحدها هنا فى مصر كتجربة وحيدة فريدة من خ. ع. عن قصة مصرية صميمة عام ١٩٨٦، ثم لم تتكرر هذه التجربة للآن!؟ (د)

إذا كان هذا هو الحال فى مجال واحد فحسب من مجالات خ. ع. المتعددة، وهو تحويل الأعمال الروائية إلى أفلام سينمائية وتليفزيونية بأنحاء العالم. فهل نظل نحن فى مصر والوطن العربى نكتفى بدور المستورد للأفلام الأجنبية تارة، ودور المتفرج المتحمس أو الساخط المتأفف تارة أخرى؟ أم أن الوقت لم يفت بعد وبمقدورنا أن نقدم لجماهيرنا فى شتى منافذ الأعلام وأولها السينما: أعمالاً عربية جيدة من أدب خ. ع. تحمسهم وتوجههم، وتدفع بأفكارهم وطاقتهم قدماً إلى الأمام، وتقربهم أكثر وأكثر من حضارة العصر بقفزاتها العلمية المتلاحقة وتقنياتها، التى تتسارع تطوراتها وتغيراتها ساعة فى أعقاب أخرى.

لقد فرّق أبو حيان التوحيدى الأديب العربى النيسابورى، منذ قرابة الألف عام فى كتابه المسمى «بالهوامل والشوامل»: بين البقاء والحياة، والعيش سعياً وراء تحديد أدق لمدلولات الكلام. فقال «إن فى البقاء يستوى الجماد وغير الجماد، وفى الحياة يشترك الحيوان والنبات، وفى الخروج إلى طلب المعاش ينفرد الإنسان». وطلب المعاش يستوعب عرض المنفعة على الناس، ويبلغ فى نهاية المطاف وكمحصلة للجهد الكلى عمار الأرض.

وعلى ضوء الرؤية الإسلامية التى تحض على البحث والفحص والدراسة وبذل أقصى الجهد من أجل البناء والتحضر ـ كما سجل التوحيدى ـ تنطلق مسيرة أدب خ. ع. عربياً بقيادة عدد من الأقلام المتخصصة، وإن بدت قليلة فى الستينات (٤ لا أكثر يكتبون للكبار) فهى تتنامى اليوم فى منتصف التسعينيات (نحو ١٩ كاتباً للكبار و٨ للصغار)، وتفرز أدباً موضوعياً جاداً يهدف ـ فى مجمله ـ إلى مزيد من التطور والتحضر والتفوق لأمة العرب.

وفى نطاق مصرنا الرائدة وكنموذج عالى المقدرة والفعالية، يتبق على كل فرد مصرى أن يقف يداً بيد مع الجهات الثلاث السابق ذكرها فى أول الكلام. كى نقوم جميعاً بواجبنا الوطنى فى تشجيع هذه الأقلام على مزيد من الإبداع، وفى مساعدة المستفيدين من عطائها، وفى مقدمتهم البراعم الصغيرة وحتى مرحلة الشباب وما بعدها

على سهولة الاقتناء والفهم والمحاكاة.... إلخ. أجل ويتبق أيضاً أن نسارع وعلى الفور إلى محو شعار طال بقاؤه وامتد رسوخه وتسيده العنكبوتى ألا وهو: «ما يطلبه الجمهور». لنُحل محله شعاراً أكثر أهمية واحتياجاً لحياتنا وتحضرنا، وهو شعار هادئ لكنه بالغ الحسم. مفاده: «ما يطلبه التقدم».

***

الجدول الأول:

ينقسم مبدعو الخيال العلمى وكتابه إلى نوعين: (١) **المجربون**: وهم الذين يقومون بتجربة الكتابة فى مجال الخيال العلمى، وسط ما يقدمون من عطاء أدبى خلال مسيرتهم الأدبية. وعادة لا تتعدى التجربة لديهم عن عمل أو اثنين، وغالباً ما يكون رواية تليها المسرحية أو العكس.

أما النوع الآخر (٢) **المتخصصون**: فهم الذين يختارون طواعية عن حب وتعلق الكتابة فقط فى مجال الخيال العلمى منذ البداية وبكافة نوعياته من رواية وقصة إلى مسرحية فقصيدة ودراسة.... إلخ. وغالباً ما يتجه المتخصصون إلى التحول نحو البحث والفحص والمقارنة وصولاً إلى النقد. وليصبحوا بذلك موسوعات متحركة فى أدب النوع وطاقات قادرة على تصور غريب الرؤى والمستقبلى منها بالذات. ولعل خير نموذج نقدمه هو كاتب خ. ع. البريطانى كينجزلى آمز، والذى تحول الآن إلى النقد والدراسة ليصبح واحداً من أهم موسوعات خ. ع. العالمية[٢٢].

كتّاب أدب خ . غ .للأطفال:

رقم	اسم الكتاب	نوعه	الروايات	المسرحيات	المجاميع القصصية	دواوين الشعر	الدراسات	التمثيليات الإذاعية	الكتابة للأطفال
١	رءوف وصفى	متخصص	–	–	١٦	–	–	–	٤ م. للكبار
٢	فتحى أمين	مجرب	٢	–	–	–	–	–	–
٣	عمر حلمى	»	١	–	–	–	–	–	–
٤	صلاح طنطاوى	»	١	–	–	–	–	–	–
٥	مجدى صابر	»	١٢	–	–	–	–	–	–
٦	د. حسام العقاد	متخصص	٧	–	–	–	–	–	–
٧	هشام الصياد	مجرب	١	–	٣	–	–	–	–
٨	محمود قاسم	مجرب	٢	–	١	–	دراسة للكبار	٤	–

obeikandl.com

كتّاب أدب الخيال العلمى

رقم	اسم الكتاب	نوعه	الروايات	المسرحيات	المجاميع القصصية	دواوين الشعر	الدراسات	التمثيليات الإذاعية	الكتابة للأطفال
١	توفيق الحكيم	مجرب	–	١	قصة	–	–	–	–
٢	د. يوسف عز الدين عيسى	»	–	–	–	–	–	١٤	–
٣	د. مصطفى محمود	»	٢	–	–	–	–	–	–
٤	نهاد شريف	متخصص	٦	١	٨	–	٤	٤٢	بسطت رواية لى
٥	محمد الحديدى	مجرب	١	–	–	–	–	–	–
٦	مهدى بندق	»	–	١	–	–	–	–	–
٧	حسين قدرى	»	١	–	–	–	–	–	–
٨	د. يوسف إدريس	»	–	١	–	–	–	–	–
٩	صبرى موسى	»	١	–	–	–	–	–	–
١٠	صلاح معاطى	متخصص	١	١	٣	–	–	–	–

obeikandl.com

تابع كتاب أدب خ.ع.

رقم	اسم الكتاب	نوعه	الروايات	المسرحيات	المجاميع القصصية	دواوين الشعر	الدراسات	التمثيليات الإذاعية	الكتابة للأطفال
١١	عمر كامل	مجرب	١	–	–	–	–	–	–
١٢	د. على حسن	»	١	–	–	–	–	–	–
١٣	إيهاب الأزهرى	»	١	–	–	–	–	–	–
١٤	عادل غنيم	»	١	–	–	–	–	–	–
١٥	إبراهيم أسعد	»	–	–	١	–	–	–	–
١٦	أحمد سويلم	»	–	–	–	٢	–	–	–
١٧	أميمة خفاجى	متخصص	١	–	–	–	–	–	–
١٨	م. صلاح عبد الغنى	»	٣	–	–	–	–	–	–
١٩	السيد القماحى	مجرب	–	–	قصة	–	–	–	رواية واحدة

obeikandl.com

الجدول الثانى :

على أن هناك نوعاً ثالثاً من المهتمين بأدب الخيال العلمى، وهؤلاء مهمين ومؤثرين فى نمو هذا الأدب وذيوعه. وأقصد بهم نقاد الخيال العلمى، من غير مبدعيه. وعادة يصل الناقد إلى مرتبة فهم وبحث نماذج القص من الخيال العلمى بعد طول مران وتمرس فى مجاله، وإلى أن يصبح حجة فى تقييم أعمال مبدعى الخيال العلمى. وهم مؤهلون كذلك للبحث والفحص والدراسة، ومن ثم تمييز المنضبط والجيد منه وبذا يصير الناقد فى النهاية موسوعة بدوره. وأقصد كذلك مبدعى فنون السينما والتليفزيون والإذاعة وأغلبهم أساتذة رواد سابقين لزمانهم، حين يتصدون لنوعية كأدب خ. ع. وميزة هؤلاء حبهم الشديد لهذا الأدب، ونضالهم الأشد من أجل تنفيذه، ولاشك أن كلاً منهم أمكنه أن يضيف عديداً من لمساته التى تحتسب فى عمله.

* النقاد والباحثين وكتّاب السيناريو ومخرجى السينما والتليفزيون والإذاعة:

م	الاسم	دراسات	كتب	مجال السينما	التليفزيون	الإذاعة
١	يوسف الشارونى	٢	٩	–	–	–
٢	د. نعيم عطية	١	١	–	–	–
٣	محمد صلاح الدين	–	–	–	إخراج سهرة	–
٤	د. سيد حامد النساج	١	–	–	–	–
٥	د. زكى نجيب محمود	١	–	–	–	–
٦	محمد فتحى عوض الله	١	–	–	–	–
٧	أحمد أبو زيد	–	–	–	–	إخراج مسلسل + ١٠ سهرات
٨	صلاح أحمد حسين	–	–	–	–	سيناريو مسلسل + ٤ سهرات
٩	د. نبيل راغب	٢	–	–	–	–
١٠	مصطفى الشريف	–	–	–	–	إخراج سهرتين
١١	محمد السيد عيد	–		–	–	سيناريو ٨ سهرات
١٢	د. على شلش	١		–	–	–
١٣	جمال قطب	فنان تشكيلى	متخفصص	فى خ.ع.	–	–
١٤	د. عصام بهى	٢	١	–	–	–
١٥	كامل عبد المجيد	–	–	–	–	إخراج مسلسل + ٥ سهرات
١٦	فوزى البارودى	–	–	–	–	سيناريو مسلسل + ١٥ سهرة
١٧	د. عبد الرءوف أبو السعد	١				–
١٨	نجيب فرح	فنان تشكيلى متخصص	فى خ.ع		–	–
			–	–		

١٩	عبد البديع القمحاوى وآخرون	١		-	-	-
٢٠	كمال الشيخ	-	إخراج أول		-	-
		-	فيلم	-		
			سينمائى			
٢١	أحمد عبد الوهاب		سيناريو فيلم		-	--
			سينمائى	-		
٢٢	د. عزة الغنام	١	-		-	-
٢٣	د. محمد نجيب التلاوى	١	-	-	-	-
٢٤	فؤاد عبد الجليل	-	-	-	إخراج سهرة	-
٢٥	محمود قاسم	١	-	-	-	-
٢٦	رمزى مجاهد	-		-	-	-
٢٧	محمد قطب عبد العال	-	١		-	إخراج ١٨ سهرة
٢٨	د. سعد أبو الرضا	١	-			-
٢٩	ممدوح فهمى	-	-		سيناريو فيلم تليفزيونى	-
٣٠		فنان تشكيلى	متخصص	فى	خ.ع.	-

كما أن هناك أساتذة عظاماً وقفوا عن قناعة إلى جانب مسيرة أدب الخيال العلمى وأبرزوا خطاها وأهميتها، عبر برامجهم المتألقة (فى التليفزيون) أمثال: فاروق شوشة، د. درية شرف الدين، حاتم نصر فريد، فؤاد شاكر، عزة الأتربى، عائشة البحراوى، عبد الرحمن على..... إلخ.

و (فى الإذاعة): عادل النادى، الشريف خاطر، ممدوح عبد العليم، محمد إسماعيل، سمية البسيونى، جمالات الزيادى، هدى العجيمى، محمد شهاب، شادن الشارونى، شريف عبد الوهاب.... إلخ.

وأما (فى الصحافة) فهى تضم أغلب الأسماء الصحفية وبلا حدود.

كذلك فقد قُدمت ترجمات لا بأس بها (نحو ١٨٠ عملاً درامياً) و(نحو ٥٢ دراسة) فى مجال الخيال العلمى، إلا أنها تظل مجرد ترجمات قليلة لاتساير التقدم الكبير الحادث فى أدب النوع بالخارج، خاصة فى أوروبا والولايات المتحدة وكندا.

هوامش :

(١) المعقول واللامعقول فى الأدب الحديث ـ كولن ولسن / دار الأداب ببيروت ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٨ ص. ص: ١٣٨ ـ ١٤٠

(٢) The Science In Science Fiction - Edited by Peter Nicholls / Great Britain. London. 1982.

(٣) ضياع نتاج العالم الثالث فى المجال العلمى - w. w. كيبز / مجلة علوم (كويتية) المجلد ١٢ العدد ٤ ص. ص: ٦ ـ ١٠.

(٤) In Dreams Awake - Edited and Introduced by Leslie A. Fiedler / printed in the United States of America. American Library. 1975.

(٥) التنبؤ العلمى ومستقبل الإنسان ـ د. عبد المحسن صالح / عالم المعرفة العدد ٤٨ ـ ديسمبر ١٩٨١ (الكويت).

(٦) أرض الاحلام ـ د. زكى نجيب محمود / كتاب الهلال العدد ٣١٧ ـ مايو ١٩٧٧.

(٧) الخيال العلمى أكثر أنواع الأدب إثارة ـ نهاد شريف / مجلة العربى ـ العدد ٣٠٠ ـ نوفمبر ١٩٨٣ (كويتية) ص. ص: ٤٠ ـ ٤٣.

(٨) The golden Age of Science Fiction - Kingesley Amis / Penguin Books England London. 1981.

(٩) أثر العلوم الحديث فى الأدب ـ باتريك بارندر / مجلة الثقافة الأجنبية (عراقية) العدد الأول السنة العاشرة ـ ١٩٩٠ ـ ص. ص: ٣٧ ـ ٣٨. (عدد خاص عن خ. ع.).

(١٠) من مقعد الناقد ـ د. على شلش / اقرأ ـ العدد ٥٠٨ ـ دار المعارف ـ فبراير ١٩٨٥.

(١١) الخيال العلمى فى الأدب العربى ـ يوسف الشارونى / مجلة عالم الفكر (كويتية) المجلد ١١ العدد ٣.

(١٢) Science Fiction (An Illustrated History) Sam I. Lundurll, - Library of Congress. I S B N New York 1978.

(١٣) .Science Fiction - Robert Scholes + Eric S. Rabkin / Oxford University Press. London.1977

(جارى نشر ترجمته للعربية ـ بقلم / أ. سعد الموجى).

(١٤) الزمن والفضاء فى الأدب الحديث ـ فالنتينا إيفاشيفا / مجلة الثقافة الأجنبية (عراقية) نفس العدد فى (٩) ص. ص ٤٨ ـ ٦١.

(١٥) علم الخيال ومستقبل الإنسان ـ الطيب الجويلى / نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم

عبد الله ـ تونس ـ ١٩٨٩.

obeikandl.com

(١٦) التفسير العلمى للأدب ـ د. نبيل راغب / المركز الثقافى الجامعى ـ الشركة المصرية لفن الطباعة ـ ١٩٨٠ ص. ص: ٤٣ ـ ٥١.

(١٧) الإنسان البرى والإنسان الفضائى ـ جيان بور نورينار / مجلة ديوجبين ـ العدد ٧١ ـ يناير ١٩٨٦ ـ ص. ص: ٣٢ ـ ٥٠.

(١٨) القرن الحادى والعشرون ـ محمد الخولى / كتاب الهلال ـ العدد ٥٢٨ ـ ديسمبر ١٩٩٤ ـ ص. ص: ١٣ ـ ٤٢.

(١٩) 20 th. Century Discovery - Isaac Asimov / Great Britain Lond. 1972.

(٢٠) وهى أفلام سينمائية من خ. ع. المنضبط، بسيطة إخراجاً وأداءً وحبكة وتجهيزات، تاركة إبهار المؤثرات الخاصة للأمريكان وحدهم دون أسف.

(٢١) العطاء العربى فى أدب خ. ع. ـ نهاد شريف (لخصت جدولين من هذه الدراسة بقلمى وهى ماتزال تحت الطبع والإصدار).

(٢٢) أخيراً فقد استعنت عبر سطور هذه الدراسة بعدد محدود (٣) من (التعابير الإيضاحية) جاءت بمقالات علمية سبق نشرها بصحف الأهرام وأخبار اليوم لأساتذة أجلاء لهم كل تقديرى.

obeikandl.com

(ملاحظات)

(أ) تذكر الحادثة التالية فى معرض الحديث عن «تجربة المستقبل» التى يتيحها أدب خ. ع.: أنه بينما كانت مجموعة من الممثلين تؤدى مشهداً سينمائياً ـ فى أحد استوديوهات فلوريدا ـ إذا بمذيع يعلن عن توقف العمل لبرهة «فاللحظة يمشى رواد أمريكيون على ثرى القمر بعد أن هبطوا عليه». إلا أن الممثلين الأمريكيين استقبلوا الخبر المثير ببرود، وأعلنوا أنهم قد فعلوا نفس الشئ مرات عدة فى أفلام خ. ع. التى شاركوا فى تمثيلها.

(ب) فى دراسة شيقة لكاتب خ. ع. الأمريكى الجنسية ايزاك آزيموف (توفى فى مارس ١٩٩٢) نشرت عقب الاحتفال بصدور كتابه المائتين، وقال فيها: إن مائة من الشباب يقرأون خ. ع. سوف يتجه نصفهم (٥٠) إلى دراسة العلوم والتعرف عليها بشغف كبير. ثم سنجد نصف النصف (٢٥) يعملون مباشرة فى العلوم ويتفوقون فيها. بينما نجد أن نصف الربع (١٢) سوف يتخصصون فى مجالات العلوم بقية حياتهم عن قناعة كاملة. وأخيراً فإننا قد نفاجا بفرد من هؤلاء المائة الذين واظبوا على قراءة خ. ع. يصبح مخترعاً، وفى هذا مكسب ضخم للولايات المتحدة.. وأنا أتساءل بدورى وماذا عن مكسب كهذا بالنسبة لمصر؟

(جـ) ولا يفوتنا هنا إعادة التذكير برواية جول فيرن «٢٠٠٠٠ فرسخ تحت سطح البحر» التى سبقت وأرشدت إلى ابتكار السفن الغائصة. ولدرجة أن أطلقت البحرية الأمريكية فيما بعد اسم غواصة فيرن «نيوتلس» كما جاء بروايته على أول غواصة نووية أمريكية. أما رواية ويلز «الرجال الأول على سطح القمر» فقد سبقت الأمريكان بنبوءة النزول على ثرى القمر تابع الأرض.

وكذلك سبقت كتابات خ. ع. فى تصور السيارة والطائرة والصاروخ والتليفزيون والدبابة وسفن الفضاء. كما سبقت فى تصور استخدام الغازات السامة والقنابل الذرية والميكروبية والإشعاعية، وغيرها فى الحروب بين البشر. يضاف ما تواظب على تخيله باستمرار من عشرات التصورات والرؤى والتوقعات فى مضمار العلم وتقنياته ويتحقق أغلبها.

(د) عام ١٩٨٦ أنتجت المؤسسة المصرية (الرانيا فيلم): «قاهر الزمن» وهو أول فيلم سينمائى عربى من خ. ع. عن رواية بنفس الاسم للكاتب نهاد شريف. والفيلم من إخراج الفنان الكبير كمال الشيخ. سيناريو أحمد عبد الوهاب. وتمثيل الفنانين: نور الشريف، آثار الحكيم، جميل راتب، حسين الشربينى، خالد زكى. وكان أول عرض لفيلم «قاهر الزمن» بسينما كايرو بالاس ابتداء من ٩ فبراير ١٩٨٧.

رقم الإيداع ٢٠١١ / ١٩٩٧

obeikandl.com

مطابع الكتب المصرى الحديث
MODERN EGYPTIAN PRESS
ت : ٢٢١١٠٧١ - ٢٢١١٠٧٢ - فاكس ٢٢١١٠٧٣

obeikandl.com